من هو يسوع
... حقّاً؟

[حوار حول اللّه والإنسان والنعمة]

أحاديث في مقهى

من هو يسوع ... حقّاً؟

جوش ماكدويل

و

دايف ستيريت

المحتويات

١. مواجهة أخيرة في مقهى..... ٧
٢. يسوع يغيّر نجوم الروك..... ١٢
٣. المفاجأة..... ٢٢
٤. مشكّك يريد أدلّة تاريخيّة..... ٣٠
٥. أندريا..... ٣٤
٦. ليلة الأربعاء في مقهى كاروث هايڤن..... ٣٦
٧. يسوع المسيح كرجل تاريخيّ..... ٥٠
٨. هل تصدّق أي شيء في التاريخ؟..... ٦٣
٩. مناظرة جمال..... ٧٢
١٠. الإلحاد وديڤيد هيوم وإنكار المعجزات..... ٨١
١١. إمكانيّة حصول المعجزات..... ٨٧
١٢. فصل جديد لآل بيترسون..... ٩٧
١٣. نيك وجيسيكا..... ١٠١
١٤. ألوهيّة المسيح في إنجيل مرقس..... ١٠٨

١٥. ماذا قال الآخرون عن يسوع؟..... ١٢٥
١٦. الدكتور إنغراهام غير مسرور..... ١٣٧
١٧. محاضرة الدكتور بيترسون عن يسوع..... ١٤٣
١٨. يسوع وأبوه..... ١٥١
١٩. من تقولون إنّي أنا؟..... ١٥٦
٢٠. هل كان يسـوع كاذبًا؟..... ١٦٠
٢١. هل كان يسوع مجنونًا؟..... ١٦٥
٢٢. أسئلة من ملحدين ومشكّكين..... ١٧٠
٢٣. هل يمكنك أن تثبت لي ذلك علميًّا؟..... ١٧٤
٢٤. أخبار جيّدة لدى آل بيترسون..... ١٧٩

الفصل الأول

مواجهة أخيرة في مقهى

أواخر شهر سبتمبر/ أيلول
كليّة التعليم الدينيّ في أوبال
دالاس، تكساس

كانت قاعة المحاضرات مكتظّة بمئاتِ الطلاب وأساتذة الكليّة والمانحين الذين حضروا جميعاً إلى العشاء الخيريّ، وكان الدكتور ويليام بيترسون، الأستاذ الفخري في كليّة التعليم الدينيّ في أوبال، على وشك إلقاء الكلمة الرئيسية. تقدَّم ماشياً على خشبة المسرح وسط هتافات التصفيق ووضع ملاحظاته على منصّة القراءة

بينما التقت نظراته مع نظرات الأصدقاء.

«شكراً لكم على ترحيبكم الحارّ والمؤثّر. بكل صراحة، إنّ الطلاب الذين نظّموا هذا الحدث يستحقّون كل تقدير وسوف أطلب من أحدهم الانضمام إليّ على المسرح بعد لحظات. ولكن أوّلاً، دعوني ألفت أنظاركم إلى حدث هامّ جدًا سيُقام هنا في كليّة التعليم الدينيّ.

يسرّنا الإعلان عن سلسلة محاضرات جديدة ومشوّقة تحت عنوان: «المسيح التاريخي: يُرجى من يسوع الحقيقي الوقوف». وستبدأ هذه السلسلة في ٨ تشرين الأوّل/أكتوبر وستُقام هنا في قاعة ويسلي للمحاضرات حيث سيقوم ثلاثة أساتذة، من بينهم أستاذان من كليّتنا، باستكشاف تاريخيّة يسوع المسيح ومناقشتها. وأنا على يقين أنّ هذه فرصة لا ترغبون بتفويتها».

أَشارَ نيك، الجالس عند الطاولة الأماميّة، برأسه لصديقه ومعلّمه، جمال واشنطن. جمال هو أحد الأساتذة الذين سيلقون تلك المحاضرة ونيك متشوّق جدًا لذلك.

تابع الدكتور بيترسون كلامه ليعبّر عن التقدير لفِرقٍ عديدة من الطلّاب الذين أمضوا عطلتهم الصيفيّة وهم يعملون مع الأيتام واللاجئين في البلدان النامية. من ثمّ ألقى ناظريه إلى يمينه ودعا واحدة منهم، جيسيكا فريسن، للانضمام إليه على المنصة والتكلّم عن الحملة الإنسانية التي يقودها الطلّاب هذا العام. بدأت دقّات قلب نيك تتسارع مع مرور جيسيكا على خشبة المسرح. كانت تبدو «مذهلة». ولاحظ مدى طول شعرها عندما تسدله على كتفيها ومدى لياقتها البدنيّة، ربما بسبب تدريبها للماراثون. وبدأ يتأمّل في نفسه قائلاً «لو أنّي تصرفت بشكل مختلف لكانت لا تزال تهتمّ لأمري. ربما كان عليّ فعل ذلك... ما هذا؟» قام صديقه جارد بدفع ملاحظة تحت كوعه. ففتحها وقرأ ما كتب له فيها: «مرحباً، أغلق فمك يا مُندهش!»

ابتسم له نيك ثمّ أدار ناظريه في اتجاه جيسيكا. لقد تغيّرت حياتها بالكامل منذ أن آمنت بالمسيح من خمسة أشهر. كلّ ما تتكلّم عنه هو يسوع. لم تعد تقضي وقتها

في الـشرب حـتّى الثمالـة مـع الفتيـات في الحانـات في ماككيـني ولويـر غرينفيـل. حـتّى أنّهـا رفضـت الخـروج معـه في إحـدى الأمسـيات عندمـا دعاهـا لتنـاول التكس-مكـس. لمـاذا فعلـت ذلـك؟ فهـي كانـت تحـب مأكـولات التكس-مكـس كثـيراً. شـعر نيـك بالإسـتياء لأنّ رفضهـا بـدا لـه شـخصياً. وعـلى الرّغـم مـن أنّهـا عـبّرت لـه عـن امتنانهـا الكبـير للتأثـير الـذي كان لـه عـلى حياتهـا في قيادتهـا لوضـع ثقتهـا في المسـيح، كلّمـا نمـت علاقتهـا مـع الله، كلّمـا كرّسـت وقتـاً أقـلّ لعلاقتهـا مـع نيـك.

لكـن يمكـن تبريـر ذلـك بانشـغالها، فبـين سـاعات الـدروس التسـعة عـشر الـتي عليهـا حضورهـا في الجامعـة، وتنظيـم مـشروع السـودان للفتيـات والتـدرّب مـن أجـل الماراثـون، الوقـت الوحيـد الـذي كان يراهـا فيـه هـو اجتمـاع درس الكتـاب المقـدّس الأسـبوعي حـول موضـوع «أنـا ثانيـاً». هـزّ برأسـه. قبـل أشـهر هـو الـذي رفـض بـدء علاقـة رومنسـيّة معهـا بسـبب عـدم اهتمامهـا بالإيمـان المسـيحيّ، أمّـا الآن فهـي الـتي تتجنّبـه! الأمـر غـير منطقـيّ.

أنهـت جيسـيكا كلامهـا بقصّـة عـن طـلاّب أوبـال الذيـن

سـافروا إلى السـودان خـلال فصـل الصيـف. وتأثَّـر جميـع الحضـور بكلامهـا وأسـلوبها العاطفـي وردّوا بالتصفيـق الحـارّ والهتـاف بينمـا كانـت تعـود إلى مقعدهـا.

خـلال محـاضرة الدكتـور بيترسـون، بقـي نيـك يلقـي نظـرات سريعـة نحـو جيسـيكا ويفكّـر في الأوقـات الـتي أمضياهـا معـاً. وبعـد فـترة، التقـت نظراتهـا بنظراتـه فابتسـمت لـه قبـل أن تـسرع بالنظـر مـن جديـد إلى الأسـتاذ بيترسـون. بـدا أنّهـا تمـضي قدمـاً، وشـعر نيـك بالتوبيـخ لأنّـه مـن المفـترض بـه أن يركّـز تفكـيره عـلى الأولاد في السـودان.

الفصل الثاني

يسوع يغيّر نجوم الروك

أمسية يوم الثلاثاء كان مقهى ماككولوش ممتلئاً بمئتي طالب لحضور اجتماع درس الكتاب المقدّس الأسبوعي تحت عنوان «أنا ثانياً». بعد مجموعة من الترانيم القويّة مع فريق التسبيح، صعد نيك إلى المسرح بينما جلس الحضور. كان نيك يرتدي قميصاً أسود مكتوباً عليه بالأحرف البيضاء وبخطّ كبير «أنا ثانياً». أمسك بالميكروفون وتكلَّم بوضوح وثقة قائلاً «أنا ثانياً، وأنتم كذلك! نحن نأتي ثانياً لأنّ يسوع المسيح

يـأتي أوّلاً!» ومـا إن نطـق بتلـك الكلمـات البسـيطة اشـتعل الطـلاّب بالتصفيـق. الأمـر المؤكّـد هـو أنّ مجموعـة الطـلاّب هـذه لـم ينقصهـا الحمـاس.

تابـع نيـك وقـال «قبـل أن نعـرض شريـط الفيديـو لهـذا الأسـبوع، سـأقرأ لكـم أعظـم عبـارات اسـتُخدمت في التاريـخ لوصـف يسـوع المسـيح. وهـي مـن رسـالة بولـس الرسـول إلى أهـل كولـوسي:

هُـوَ صُـورَةُ اللهِ غَـيْرِ الْمَنْظُـورِ، بِكْـرُ كُلِّ خَلِيقَـةٍ. فَإِنَّـهُ فِيـهِ خُلِـقَ الْـكُلُّ: مَـا فِي السَّـمَاوَاتِ وَمَـا عَـلَى الأَرْضِ، مَـا يُـرَى وَمَـا لاَ يُـرَى، سَـوَاءٌ كَانَ عُرُوشًـا أَمْ سِـيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَـاتٍ أَمْ سَـلاَطِينَ. الْـكُلُّ بِـهِ وَلَـهُ قَـدْ خُلِـقَ. الَّـذِي هُـوَ قَبْـلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيـهِ يَقُـومُ الْـكُلُّ وَهُـوَ رَأْسُ الْجَسَـدِ: الْكَنِيسَـةِ. الَّـذِي هُـوَ الْبَـدَاءَةُ، بِكْـرٌ مِـنَ الأَمْـوَاتِ، لِـكَيْ يَكُـونَ هُـوَ مُتَقَدِّمًـا فِي كُلِّ شَيْءٍ. لأَنَّـهُ فِيـهِ سُرَّ أَنْ يَحِـلَّ كُلُّ الْمِـلْءِ، وَأَنْ يُصَالِـحَ بِـهِ الْـكُلَّ لِنَفْسِـهِ، عَامِـلاً الصُّلْحَ بِـدَمِ صَلِيبِهِ، بِوَاسِطَتِهِ، سَوَاءٌ كَانَ: مَا عَلَى الأَرْضِ، أَمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ..[١]

١. كولوسي ١: ١٥-٢٠.

عندما انتهى نيك من القراءة، صعدت جيسيكا إلى خشبة المسرح وقادت الطلاّب في صلاة. وعندما قالت «آمين» خفتت الأضواء وبدأ عرض فيديو «أنا ثانياً». كان نيك متحمِّساً جداً «لا بدّ لهذه القصّة القويّة أن تنتج ردود فعل!»

ابتدأ الفيديو مع موسيقى غريبة في غرفة مظلمة بالكامل. ثمّ أشعّ نور غريب على كرسي أبيض، وسُمع من وراء الكاميرا صوت بريان ولش الملقّب بـ «هيد» (الرئيس)، عازف الغيتار الرئيسي السابق في فرقة كورن. ثمّ ظهر جالساً على الكرسيّ والظلام يحيط به، وجسمه مغطّى بالأوشام بما فيها وشم لصليب صغير خارج عينه اليُمنى. التزم الطلاّب الصمت بينما كان ولش يخبر قصّته بصدق وشفافيّة.

«بدت الحياة جميلة في بعض الأوقات. رأت ابنتي جينيا النور وشعرتُ بولادتها ببهجة لا توصف وظننتُ أنّ ذلك الشعور سيرافقني كلَّ حياتي. كنتُ أظنّ أنّني إنسان «روحيّ» غير أنّني لم أستطع أن أبقى حرّاً من الإدمان. وصلت إلى قعر الهاوية.

كنتُ قد أقسمت لنفسي بأنّني لن أتعاطى الميثامفيتامين من جديد لأنّني رأيتُ ما فعلته تلك المخدرات بأمّ ابنتي، فقد سلبَتها عواطفها وجعلَتها تترك طفلتها. جلّ ما أردته كان أن أرى زوجتي ميتة. رغبتُ في قتلها. اعتبرت أنّها حثالة الأرض. كيف أمكنها تعاطي المخدّرات هكذا وترك المخدّرات تستحوذ على كيانها وتغلبها بذلك الشكل؟ لذا اتّخذت قراراً بعدم العودة إلى تعاطي الميث يوماً.

انتهى بي الأمر بإدمان شديد ويوميّ على مخدّرات الميثامفيتامين، وكلّ ما قلته عن زوجتي السابقة أصبح حقيقة تنطبق عليّ. انحدرت إلى أسفل الحضيض، إلى مكان لم أتصوّره قطّ. كنت أمضي وقتاً مع ابنتي بينما لا أزال تحت تأثير المخدّرات لأنّي كنت أحتاج إلى المخدّرات لأتحرّك. كنتُ أستيقظ في الصباح وأتناول سندويشاً من زبدة الفستق مع المربّى وأستنشق الميث ثمّ أصطحب ابنتي إلى المدرسة. كنتُ مدمناً على المخدّرات. وكانت حياتي تخرج بالكامل عن السيطرة. رافقتني مرّةً جينيا في إحدى

الجـولات الموسـيقيّة. وأتذكّرهـا تقفـز وتغـنيّ إحـدى أغـاني فرقتنـا كـورن بعنـوان «أديـداس» الـذي هـو اختصـار لعبـارة «أحلـم بالجنـس طـوال اليـوم». ففكّرت بيـني وبـين نفسي، «مـا الـذي أفعلـه؟ أنـا مدمـن عـلى المخـدّرات، وابنـتي تمـضي يومهـا وهـي تغـنيّ «أنـا أحلـم بالجنـس طـوال اليـوم وسـوف أمـوت.»

«قـال لي إيريـك وهـو سمسـار العقـارات الـذي أتعامـل معـه: «يـا بريـان، لا أقصـد أن أكلّمـك بغرابـة وآمـل ألاّ تـسيء فهـم مـا سـأقوله، ولكـنّي شـعرت بآيـة مـن الكتـاب المقـدّس تـضيء في ذهـني. لـم أكلِّم أحـداً بهـذه الطريقـة مـن قبـل لـذا أنـا لا أعـرف كيـف ينبغـي قـول ذلـك، ولكـنّي شـعرتُ أنّ هـذه الآيـة سـتعني لـك شـيئاً. إنَّهـا الآيـة الـواردة في إنجيـل مـتّى ١١:٢٨ حيـث يقـول يسـوع «تعالـوا إليّ يـا جميـع المُتعبـين والثقيـلي الأحمـال وأنـا أريحكـم.»

«أذكـر أنّـني، وبينمـا كنـت تحـت تأثـير المخـدَّرات التـامّ، رحـت أبحـث في المعجـم عـن معـنى «مُتعـب».

بحثت بعدها عن عبارة «ثقيل الأحمال» وعن معنى كلّ كلمة في تلك الآية. اعترفتُ قائلاً «إنّني مُتعب وثقيل الأحمال وأحتاج راحة لنفسي». لم أكن أعرف ما إذا كان الأمر صحيحاً أم لا، لكن تمَّت دعوتي إلى الكنيسة بعد بضعة أسابيع وهناك صلّيت لأقبل المسيح لكنّي عدتُ إلى المنزل بعدها وبقيت أفعل ما أفعله. أهملتُ ابنتي ثمّ قمتُ بتنعيم المخدّرات وتمليسها لأتعاطاها. لكن قبل أن أفعل ذلك صلّيتُ، «يا ربّ يسوع، عليكَ أن تبعد هذه المخدّرات عنّي. افحصني الآن. افحص قلبي.»

«وعندها حصل شيء. شعرتُ بحبّ أبويّ هائل يجتاحني من السماء ويقول لي «أنا لا أدينُك. أنا أحبّك. أنا أحبّك». كانت محبّة تامّة وعلى الفور دخلت فيَّ تلك المحبّة من الله. كانت قويّة جداً لدرجة أنّني في اليوم التالي رميت كلّ المخدّرات التي كانت في حوزتي وتركتُ فرقة كورن. قلتُ «سأترك فرقة كورن وسأربّي ابنتي بالطريقة الصحيحة». دخَلت محبَّة الله تلك إلى

أعماقي ثمّ خرجت منيّ إلى ابنتي. لقد غيّرتني فتغيّر قلبي وقلتُ لابنتي «يا جينيا، سيكون أبوكِ معكِ في المنزل طوال اليوم. سأترك مهنتي.» فأشرق وجهها وقالت «من أجلي أنا؟» شعرَت بأنّها مميّزة للغاية واستخدمها الله ليخلّصني... لأخلِّص حياتها في ما بعد.»[٢]

عاد نيك إلى المسرح مع عودة الأنوار وهو يمسك كتاباً مقدّساً جلدياً في يده. اختار كلماته بعناية وقال «ربما أنتَ أيضاً تشعر بأنّك متعب وثقيل الأحمال. وإذا كنّا جميعنا صادقين مع أنفسنا سنتعترف بأنّ أغلبنا قد شعر بالتعب. ففي السنة الماضية، أقلّه بالنسبة إليّ، كانت حياتي عبارة عن سهر طويل وصداع الكحول وارتباك كبير بشأن حياتي. وحتّى الآن لا زلت أتصارع بين اللهو وبين تحقيق نتائج جيّدة في دراستي...فضلاً عن أنّني مدمن بالكامل على الكافيين.

٢. يمكن إيجاد فيديو الاختبار على موقع www.iamsecond.com. مُستخدم بترخيص.

كلّ طالب يعرف ما معنى أن يكون الشخص متعباً وأن يحمل أحمالاً ثقيلة. إذا كان هذا شعورك في هذه اللحظة فإليك ما يجب أن تعرفه: ليس عليك أن تفهم كلّ شيء قبل أن تأتي إلى يسوع.

ربّما يمكنك فهم ما اجتازه بريان ولش، فمخدّرات الميث سيّدٌ قاسٍ وكذلك الإسراف في الشرب أو فعل أي شيء بإفراط. لقد سمعت ما قاله عن كيفيّة الفوز بحريّتك.

أو ربّما شاهدت الفيديو بكاملهِ وفكّرت في نفسك قائلاً «قد لا أكون كاملاً، ولكن ليس لديّ مشاكل كتلك التي واجهها ذلك الشاب. أنا شخص صالح وأعيش حياةً صالحة وليس لديَّ مشاكل مع الله. لماذا عليّ أن أسلّم حياتي ليسوع؟»

«دعني أطرح عليك أسئلة قليلة: هل كذبت يوماً؟» ابتسم نيك. «أجل، أنا أيضاً. المشكلة هي أنّ ذلك يجعل منك ومنّي كاذبين. هل شعرت يوماً بالشهوة في قلبك؟ ماذا عن عينيك – هل نظرت يوماً إلى أحد لتشتهيه؟ قال يسوع إنّ كلّ من يشتهي يرتكب الزنى في قلبه. قبل أن أسلّم حياتي ليسوع العام الماضي، كنت أنظر على المواد الإباحيّة طوال الوقت. صدّقوني، أعرف ما معنى

أن أثمل وأعامل الفتيات بطريقة غير محترمة. ماذا عن الكراهية، هل شعرت يوماً بالكراهية تجاه أي شخص؟ قال يسوع إنّ كلّ من يكره أَخاه أو أخته قد قتل في قلبه. هذا يجعل من كلّ واحد منّا كاذباً وزانياً وقاتلاً. يمكنك قراءة كلّ هذه الأمور في إنجيل متّى الفصل الخامس.

«لقد قمنا جميعنا بأعمال صالحة كثيرة، ومعظمنا يعيش حياةً مليئة بأفضل النوايا. ولكن بالمقارنة مع الصلاح والقداسة غير المحدودين لكائن كامل، لن ترقى يوماً أفضل أعمالنا إلى ذلك المستوى. ثمّة طريقة واحدة لكي يكون الانسان صالحاً بما يكفي الكفاية للوقوف أمام إله قدّوس. عليك أن تسمح له بأن يغفر لك. قد يكون اليوم يومَ قبولك بالمسيح مخلّصاً. هو دفع ثمن خطيّتك بموته. اِقبل تلك العطيّة واجعله الأوّل في حياتك.

«الآن هو الوقت الأمثل لاتخاذ قرار بشأن يسوع. فالغد ليس مضموناً لنا، فلنفترض أنّك تركت هذا المكان الليلة وصدمك سائق ثمل. عندما تقف أمام الله لتعطي حسابًا لحياتك، هل ستقف مذنباً... أو بريئاً؟

هـل تعتقـد أنّـك ذاهـب إلى السـماء... أو إلى جهنّـم؟ إذا لـم تكـن تعـرف يسـوع، أنـا أشـجّعك عـلى أن تتكلّـم معـه في هـذه اللحظـة. اعـترف بخطايـاك، اقبـل غفرانـه، وسـلّمه زمـام الأمـور في حياتـك. فهـو قـد مـات بـدلاً منـك وسـوف يمنحـك الغفـران ويطهّـرك مـن كلّ آثامـك!"

الفصل الثالث

المفاجأة

في اللحظة التي أنهى فيها نيك كلامه، وقفت صديقة سابقة وزميلة في الدراسة وصرخت قائلة «هذا فقط رأيك أنت يا نيك!» كانت ترتدي قميصاً فاتح اللون مكتوباً عليه بخطّ كبير «على الأرجح الله غير موجود، لذا توقّف عن القلق واستمتع بحياتك» فحدّق بها الجميع.

فوجئَ نيك ولكنّه سرعان ما تمالك نفسه. «أندريا؟ ماذا تفعلين؟ وماذا تعنين بذلك؟ أنتِ تعرفين أنّ ما قلته ليس مجرّد رأيي الشخصيّ، فكلّ جزء منه يتوافق

مـع الحقيقـة التاريخيـة. مـا الأسـاس الـذي تسـتندين عليـه في رأيـك؟»

فـوراً وقـف طالـب آخـر وكان يرتـدي قميصـاً أسـود مكتوبـاً عليـه «ملحـد» بالخـطّ الأحمـر: «يسـوع المسـيح كان مجـرّد إنسـان لا أكـثر! مـا الـذي يجعلـك تعتقـد أنّ يسـوعك أفضـل مـن أيّ معلّـم آخـر؟»

اسـتدار نيـك ونظـر إليـه وقـال: «أنـت عـلى حـقّ، يسـوع كان إنسـانًا. ولكنّـه كان أيضًـا الله وقـد أثبـت مـا زعـم عـن ألوهيّتـه بقيامتـه».

فصرخ طالب آخر قائلاً «أنت مخطئ تماماً يا نيك!»

فردّ عليه نيك وغضبه يتزايد «ما اسمك؟»

لـم يجـب الطالـب، فـأصرّ نيـك وقـال: «أنـتَ، مـن قلـت لي إنّي مخطـئ تمامـاً. مـا اسـمك؟»

صلّـت جيسـيكا بصمـت وقالـت «يـا رب، أعـطِ نيـك الحكمـة».

فأجاب الطالب قائلاً: «اسمي سام.»

«حسناً يا سام، اشرح لي الآن كيف إني مُخطئ تماماً.»

«يسوع المسيح كان مجرّد إنسان لا أكثر، معلّماً ينادي بفعل الخير تبعه بعض الأشخاص المضلَّلين والساذجين أمثالك. وأولئك الناس نسبوا له قدرات خارقة للطبيعة.»

فردّ عليه نيك «ولماذا تظنّ أنّ الكثير من الناس نسبوا إليه قدرات خارقة للطبيعة؟»

لم يُجب سام لأنّ الشاب الذي يرتدي قميص الملحد قاطعه: «قليلة جداً هي الكتب التي كُتبت في ذلك العصر وذكرت موضوع ألوهيّته، إذا وُجدت. ربما كان يسوع رجلاً محبوباً من الجماهير ولكن بكلّ تأكيد لم يكن إلهاً.»

كان نيك مليئاً بالاندفاع. «ليس لديك أيّ أساس حقيقيّ لمزاعمك وفي الواقع أنا كنت أوجّه سؤالي لسام.»

صرخ سام قائلاً «يسوع لم يكن حتّى معلّماً صالحاً!

كان أحمقاً في رحلة استعراض للقوّة فكان يخدع السذّج بالأحجيات ويدين كلّ من يخالفه الرأي بإرساله إلى جهنّم.»

نظر نيك إلى سام. "أولاً، أنت تُعارض نفسك. قلتَ للتو إنّ يسوع «معلّمٌ نادى بفعل الخير». ثم قلتَ إنّه أحمق علّم الأحجيات لكنّ الناس نسبوا إليه قدرات خارقة للطبيعة. إذا كان يسوع مجرّد أحمق وجاهل، فلماذا ينسب إليه شهود العيان المعجزات؟"

صرخ طالب غاضب آخر «أنت مجرّد مسيحي يؤمن بالخرافات! نحن لا نؤمن بالله ولا بالأفاعي المتكلّمة ولا بالولادة من عذراء أو بالحصان أحادي القرن!»

ابتدأت الأمور تخرج عن السيطرة ففكّر نيك في نفسه «هل أحضرت أندريا كامل نادي الملحدين معها الليلة فقط لتقاطعني؟» من ثمّ خطرت له فكرة. «يا أصدقائي، أنا أفهم لماذا يشعر البعض منكم بالغضب إذ كان لديّ الشعور نفسه حين كنتُ لاأدرياً. لم يكن بإمكاني تحمّل فكرة الله حتّى. أنا أتفهّم ذلك.

لكـنَّ وقتنـا الليلـة ابتـدأ ينتهـي لـذا اسـمحوا لي بطلـب أمـرٍ واحـدٍ، أرجـو منكـم التوقّـف عـن مقاطعـة اجتماعنـا الليلـة. يمكننـا التحـاور مـن دون أي تهجّمـات في الـكلام. وفي الواقـع، بعـد ثلاثـة أسـابيع سـوف نقيـم منتـدى مـع أحـد أسـاتذتنا، جمـال واشـنطن، الـذي سـيعالج موضـوع هويّـة المسـيح التاريخـي. وسـينضمّ إلى جمـال المؤمـن بوجـود الله، الدكتـور يورغـن هيتزفيلـد، وهـو مـؤرّخ لاأدريّ مختـص بتاريـخ الكنيسـة، والدكتـور فرانـك غوفـران، وهـو فيلسـوف علـوم ملحـد. أنـا أدعوكـم إلى حضـور هـذا المنتـدى. ولكـن الآن سـوف أنهـي وقـت المشـاركة بالصـلاة مـن ثـم سـتقودنا الفرقـة في بعـض الترانيـم الختاميـة. أرجـو منكـم إظهـار الاحـترام وعـدم مقاطعـتي. وأندريـا، هـلاّ كلّمتـني بعـد نهايـة الاجتمـاع؟»

بقـي وجـه أندريـا خاليـاً مـن الملامـح وعندمـا انتهـت الفرقـة مـن العـزف كانـت قـد غـادرت المـكان. أمـل نيـك أن تكـون مينـا إمّـا جيسـيكا قـد تكلّمتـا معهـا، ولكـن بـدا أنّهـا كانـت مجروحـة المشـاعر ولـم ترغـب بالـكلام.

غـادر نيـك المقهـى مسـتاءً لأنّـه لـم ينجـح بتقديـم أجوبـة أفضـل ولـم يتعامـل مـع الحضور المشـاكس بالشـكل الأمثـل. كمـا أنّـه شـعر بالتأنيـب بسـبب ردود فعلـه السـيئة.

وبينمـا كان يهـمّ بالمغـادرة، أوقفـه شـاب يحمـل خـوذة دراجـة ناريـة. «مرحبـاً يـا نيـك، أنـا أُدعـى بريـت. هـل يمكنـني أن أطـرح عليـك سـؤالاً؟»

«بالطبع!»

«لقـد أحببـت فيديـو "أنـا ثانيـاً" ولكـن أتظـنّ أنّـه يمكننـا اللقـاء في وقـت مـا للتكلّـم بشـأن هـذه الأمـور؟»

«نعـم، سـيكون ذلـك مدعـاة سرور لي. أخـبرني مـا الخطـب.»

«أوّلاً، أرغـب في الاعتـذار عـن أصدقـائي الملحديـن الوقحـين، فأنـا أيضـاً لـديّ أسـئلتي وشـكوكي الخاصّـة، ولكـن لـم يكـن يجـدر بهـم الاسـتيلاء عـلى اجتماعكـم.»

قال نيك «لا بأس. قد يكون المسيحيّون وقحين جدّاً في بعض الأحيان أيضاً.»

هزّ بريت برأسه ايجاباً. «على كلّ حال، أنا طالب في علم الأحياء والطبّ، وأميل نحو المنطق في تفكيري. فأنا لم أنشأ في تكساس مثل هؤلاء الأولاد العدائيّين في التزامهم بالكتاب المقدّس. علّم والدي في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا وقد درّبنا على تجنّب الإيمان العاطفي الأعمى. ومع أنّ قصّة برايان ولش جيّدة، أنا لا أعتبر أنّ للاختبار الشخصي أهميّة كبيرة. فلا قيمة فعليّة لمثل تلك القصص إلاّ بالنسبة إلى المسيحيّين، ولا تهدف هذه الأمور إلاّ إلى تعزيز المعتقدات التي تؤمنون بها مسبقاً. إنّها عناصر مؤكِّدة.»

فقال نيك، «إنَّ كلامك منطقيّ، وأنا أوافقك الرأي بأنَّ الاختبار الشخصي قد لا يكون الحجّة الفكريّة الأقوى على عمل الله، لكن لا يسعني القول إنّ لا قيمة فعليّة له في أرض الواقع.»

«يـا نيـك، هـذا الأمـر هـامّ بالنسـبة إليـك لأنّـك مسيحي، ولكـن لا قيمـة لـه بتاتـاً بالنسـبة إلى أشـخاص مثـلي لديهـم نظـرة منطقيّـة وعقلانيّـة وعلميّـة.»

أشـار نيـك إلى الطـاولات والكـراسي الموضوعـة في الخـارج وسـأله «هـل لديـك الوقـت لنتحـدّث قليـلاً؟»

الفصل الرابع

مشكّك يريد أدلّة تاريخيّة

«إذا أعطيتك يا نيك فيديو عن الآمّ تيريزا ورأيتها تعبّر فيه عن شكوكها وكيف أنّها لم تستطِع الشعور بوجود الله في حياتها أبداً، فهل ستغيّر معتقداتك؟ إذا كان جوابك كلا، فأنت تثبت وجهة نظري. إذ يمكنك أن تريني فيديو عن ريتشارد دوكينز بنفسه يصبح مسيحياً ويقول "أنا ثانياً بعد يسوع" ولن يؤثّر فيّ ذلك الفيديو البتّة.

ومثلما قال كريستوفر هيتشنز «للأناجيل مؤلّفين متعدّدين، ولم ينشر أحد منهم أيّ شيء إلاّ بعد مرور عدّة عقود

عـلى الصلـب ولا يمكنهـم الاتفـاق عـلى أي شيء ذو أهميّة.»[٣] إذا أردت مـنّي حقـاً يـا نيـك أن أؤمـن بيسـوعك هـذا، عليـك أن تقـدّم لي أدلّـة تاريخيّـة. وحـتّى عندهـا سأشـكّك في كلّ المعجـزات المزعومـة ومزاعـم أنّ يسـوع هـو الله.»

فسـأله نيـك «ولمـاذا تشـكّك إذا قدّمـت لـك أدلّـة تاريخيّـة؟»

«لأنّ الأدلّـة التاريخيّـة لا تثبـت إلاّ أنّ يسـوع كان رجـلاً مـن التاريـخ، والأمـر موضـع شـك. فمثلمـا قـال برتراند راسـل «تاريخيـاً، الشـكوك كبـيرة بشـأن مـا إذا كان المسـيح موجـودًا يومـاً، وإذا صحّ أنّـه عـاش بالفعـل، فنحـن نعـرف القليـل جـداً عنـه»».[٤]

«يـا بريـت، أنـت بالتأكيـد عـلى علـم بـأنَّ راسـل كان عالـم رياضيّـات وليـس مؤرّخـاً. وبالنسـبة إلى هيتشـنز، أنـا أعتقـد أنَّـه يتجنّـب العديـد مـن الأدلّـة التاريخيّـة بسـبب تحيّزه ضـدّ الظواهـر الخارقـة للطبيعـة. وبغـضّ النظـر عمّـا

٣. كريسـتوفر هيتشـنز، الله ليـس عظيمًـا: كيـف يسـمّم الديـن كلّ شيء (نيويـورك: هاشـيت، ٢٠٠٧)، ١١١.

٤. برتراند راسل، لماذا لستُ مسيحيًا (نيويورك: سايمون أند شوستر، ١٩٥٧)، ١٦.

يقوله هيتشنز وراسل، ثمّة أدلّة قاطعة على أنّ يسوع كان رجلاً من التاريخ ويسعدني أن أكلّمك عنها ولكنّي لست من الخبراء في الأمر. فمنذ فترة تقلّ عن سنة كنت لا أزال من المشكّكين وأنا متأكّد أنّي سأعجز عن الإجابة على كلّ أسئلتك. هل أنت على استعداد للالتقاء ببعض أصدقائي؟ أولئك قد ساعدوني في بحثي عن أجوبة في العام الماضي.»

أجابه بريت وهو يتناول خوذته «يجوز أن ألتقي بهم. لماذا تظنّ أنّهم سيقدّمون لي أجوبة أفضل منك؟»

«هم يجرون بحوثاً في ذلك المجال منذ وقت أطول منّي بكثير. جمال يعمل على إجازة الدكتوراه ويدرّس في المرحلة الجامعيّة الأولى. مينا طالبة سنة أولى حقوق مع إجازة في الفلسفة وقد سبق ونشرت مؤلّفاتها، إنّها شخص لامع. أندريا تعرفهما كليهما فيمكنك ربما أن تطلب منها الانضمام إلينا... مع البعض من أصدقائها الملحدين.» ابتسم نيك. «نحن نلتقي في مقهى كاروث هايڤن ليالي الأربعاء. هل تناسبك أمسية الغد بحسب جدولك؟»

«إنّهـا تناسـبني. سـأتّصل بأصدقـائي طـلاّب الدراسـات العليـا مـن نـادي الملحديـن وأطلـب منهـم الانضمـام إلينا.»

في ذلـك المسـاء، اتصـل نيـك بجيسـيكا وجمـال ومينـا. واتصـل بريـت بسـكوت، وهـو طالـب دكتـوراه في التاريـخ، ولوريـن الطالبـة في الطـب في السـنة الثالثـة. ووافقـوا كلّهـم عـلى الحضـور.

الفصل الخامس

أندريا

بعـد اتصـال نيـك، قامـت جيسـيكا ومينـا بالصـلاة مـن أجـل أندريـا لـكي تكـون منفتحـة تجـاه فكـرة الانضمـام إلى المجموعـة في أمسـية الغـد. وصلّـت مينـا «يـا ربّ، أظهـر لأندريـا مـدى حبّـك لهـا. أظهـر لهـا أنّـك تعرفهـا شـخصياً وأنّـك تتـوق لبنـاء علاقـة شـخصيّة معهـا. يـا أبانـا السـماوي، أندريـا مجروحـة وقـد قـرّرت عـدم الإيمـان بـك. أرجـوك أن تفتـح قلبهـا وعقلهـا. باسـم يسـوع. آمـين.»

خـلال الصيـف، اعتنقـت أندريـا الإلحـاد الكامل وفقـدت الاهتمام في إجراء

نقاشات روحيّة مع نيك وجمال ومينا وجيسيكا. تساءل نيك ما إذا كان الأمر يتعلّق بوفاة قريبها قبل بضعة أشهر، لكنّ أندريا قالت إنّ الأمر يتعلّق باستيقاظها وإدراكها للواقع. كان نيك لا يزال يهتم بها كصديقة وبقي هو وجيسيكا ومينا يحاولون قضاء وقت معها. وقبل أحدَين، انضمّت إليهم في منزل جمال لحضور مباراة كرة القدم وقد بدت مرتاحة أكثر من العادة، لكنّهم لم يكونوا قد تكلّموا عن الله كثيراً.

الفصل السادس

ليلة الأربعاء في مقهى كاروث هايڤن

مقهى كاروث هايڤن هو أكبر مقهى في دالاس ولكن حتّى مع وجود أربع قاعات كبيرة وباحة خارجيّة يبقى المكان ممتلئاً بالجامعيّين في جميع الأوقات. حتّى عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل ليس من المستغرب رؤية طلاب الدراسات العليا يدرسون أو الطلاب الجامعيّين الثملين يحاولون الصحو بعد إغلاق النوادي.

وصل جمال متأخّراً لبضع دقائق واستدارت الأنظار نحوه عند دخوله. لقد وجدته الطالبات الجامعيّات حسن

المظهـر وبـدأن بتوزيـع الابتسـامات بـين بعضهـنّ البعـض. عندمـا وصـل أخـيراً إلى طاولـة المجموعـة وهـو يحمـل فنجان قهـوة في يـده، قـام نيـك بتقديـم الجميـع. كانـت أندريـا قـد وصلـت مـع مينـا وجيسـيكا وأحـضر بريـت أصدقـاءه الملحديـن سـكوت ولوريـن. شـعر نيـك بالقليـل مـن الرهبـة، إذ أنّـه الأصغـر بينهـم ولكنّـه كان متشـوّقاً أيضـاً للتعلّـم مـن التفاعـل بينهـم. «سـبب وجودنـا جميعـاً في هـذا المـكان هـو أنّ صديقـي الجديـد، بريـت، طلـب إجـراء نقـاش عـن يسـوع المسـيح كشـخص مـن التاريـخ. لا أشـعر بـأنّي جاهـز للإجابـة عـلى الأسـئلة حـول الموضـوع لذلـك طلبـت مـن جمـال ومينا الانضمـام إلينـا لأنّهمـا سـاعداني بأسـئلتي الخاصّـة في السـنة الماضيـة. مـا رأيـك يـا بريـت أن تبـدأ المناقشـة بمشـاركتنا بمـا يـدور في فكـرك؟»

«بـكلّ تأكيـد» قـال بريـت وهـو يوجّـه حديثـه إلى جمـال «كنـت قـد ذكـرت لنيـك بـأنّ أشـخاص ملحديـن بارزيـن أمثـال الراحـل برتراند راسـل وكريسـتوفر هيتشـنز يشـكّكون في تاريخيّـة يسـوع المسـيح علنـاً. حـتّى أنّ هيتشـنز يشـير إلى

أنَّ حقيقة وجوده «مشكوك فيها» إلى حدٍّ كبير.[٥] فكيف نعرف تمام المعرفة بأنّ المسيح كان موجودًا؟»

«هذا سؤال جيّد يا بريت. دعني أشرح بك لماذا أعتقد أنّ هيتشنز وراسل كلاهما على خطأ. في حين أنَّ المؤرّخون قد تجادلوا حول ما إذا كانت شخصيات أخرى من العصور القديمة مثل هوميروس قد عاشت يوماً، يوجد إجماع عامّ على أنّ المسيح كان شخصاً حقيقياً. وإذا كان المرء يؤمن بوجود سقراط أو الاسكندر الكبير أو يوليوس قيصر فعليه بكلّ تأكيد أن يؤمن بوجود المسيح. فإذا كان إثبات التاريخيّة يؤسّس عبر سجلات خطيّة مكتوبة بنسخ متعدّدة يقترب تاريخها الأصليّ لأحداث معاصرة لها زمنياً، فثمّة أدلّة تاريخيّة على وجود المسيح أكثر بكثير من الأدلّة على وجود غيره. ولا يشهد المسيحيّون وحدهم لتاريخيّة المسيح، بل تشهد لها أيضاً مصادر يونانيّة، ورومانيّة ويهوديّة».[٦]

٥. هيتشنز، الله ليس عظيمًا، ١١٤.

٦. دينيش دسوزا، ما هو الأمر العظيم بشأن المسيحيّة (واشنطن العاصمة: ريغنيري، ٢٠٠٧)، ٢٩٦.

انحنت لورين، صديقة بريت من الكليّة الطبيّة، إلى الأمام ووضعت شرابها على الطاولة. «انتظر لحظة. ظننتُ أنّه بالنسبة إليكم أنتم المسيحيّون كل شيء يدور حول الإيمان.»

ردّ جمال «لا شكّ يا لورين في أنّ الكثير من المسيحيّين لديهم إيمان أعمى. لكن لحسن الحظّ، تلك لم تكن حال المفكّرين العظماء أمثال أنسلم وتوما الأكويني. إنّ أساس الإيمان المسيحي هو حدث حقيقي وهو القيامة التاريخيّة ليسوع المسيح. وقد كتب بولس إلى المسيحيّين في مدينة كورنثوس «وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطلٌ أيضاً إيمانكم.»[٧]

وتابع جمال قوله «يا بريت، لقد قال الدكتور أوتو بيتس، وهو مؤرّخ لامع، «لم يغامر أي باحث جدّي يوماً بافتراض عدم تاريخيّة يسوع».[٨]

٧. ١ كورنثوس ١٥: ١٤.

٨. أوتو بيتس، ماذا نعرف عن يسوع؟ (نورويش، المملكة المتّحدة: دار نشر إس.سي.أم، ١٩٦٨)، ٩.

قاطعتـه أندريـا قائلـةً «يـا جمـال، لا يهـمّ حقـاً مـا إذا كان يسـوع رجـلاً مـن التاريـخ أم لا. حـتّى وإن كان موجـوداً، فهـو لـم يكـن الله. كان مجـرّد معلّـم عظيـم أو شـخص متعصّـب.»

فكّـر نيـك في نفسـه «يبـدو أنّ أندريـا تقـضي الكثـير مـن الوقـت مـع سـام.»

"حسـناً يـا أندريـا، لنعتـبر هـذه الفكـرة للحظـة. أشرت إلى أنَّ يسـوع المسـيح معلّـم عظيـم أو شـخص متعصّـب. لنعتـبره أولاً كمعلّـم. لقـد كان في الواقـع فيلسـوفاً ومحـاوراً عميقـاً. وقـد اعتـبر المدافعـون عـن الايمـان الأوائـل أنّ جمـال تعاليمـه وتألّقهـا تجـاوز تعاليـم سـقراط، وأفلاطـون وأرسـطو. وأنـا أوافـق عـلى ملاحظـة دينيـش دسـوزا، عالـم البحـوث في سـتانفورد، الـذي أشـار إلى أنّـه عـلى الرغـم مـن أنّ شكسـبير هـو أعظـم كاتـب مسرحـيّ في اللغـة الانكليزيّـة «لا يوجـد شـخصيّة واحـدة في كتابـات شكسـبير يمكـن أن تُقـارن ببلاغـة المسـيح.»[٩] لنفكّـر في جميـع العبـارات الشـهيرة

٩. دسوزا، ما هو الأمر العظيم بشأن المسيحيّة، ٢٩٦.

الـتي قالهـا المسـيح: مـن ثمارهـم تعرفونهـم. لأنّـه حيـث يكـون كـنزك هنـاك يكـون قلبـك أيضـاً. أغفـر لنـا ذنوبنـا كما نغفـر نحـن أيضـاً للمذنبـين إلينـا. أدر الخـدّ الآخـر. ليـس بالخـبز وحـده يحيـا الانسـان. طـوبى للودعـاء لأنّهـم يرثـون الأرض. مـن وجـد حياتـه يُضيعُهـا، ومـن أضـاع حياتـه مـن أجـلي يجدهـا.[١٠]

قاطعـه سـكوت طالـب الدكتـوراه قائـلاً «يـا جمـال، ربمـا كان يسـوع معلّمـاً صالحـاً ولكـن بمـا أنّـني درسـتُ التاريـخ أعتـبر أنّ المجتمـع سـيكون أفضـل حـالاً بكثـير مـن دون أتبـاع المسـيح. فعندمـا أفكّـر في التأثـير الـذي كان للمسـيحيّة عـلى المجتمـع، أفكّـر في القتـال باسـم الديـن والكراهيـة تجـاه النسـاء والأقليّـات، ومحـاولات توقيـف تقـدم العلـم والبحـوث الأكاديميـة.»

قـال جمـال «لا شـكّ أنّ أمـوراً شرّيـرة قـد حصلـت وتـمّ الدفـاع عنهـا باسـم المسـيح. ولكـن دعـني أطرح عليك سـؤالاً يـا سـكوت. هـل تعتـبر أنّ الجنـس البـشريّ خـيّر أم شرّيـر؟»

١٠. المرجع نفسه، ٢٩٥.

أجـاب سـكوت «أغلبـه خـيّر. أظـنّ أنّ إلهكـم هـو الشرّيـر.»

فتحـت أندريـا جهـاز الكمبيوتـر المحمـول الخـاصّ بهـا وقالـت «أنـا أتّفـق معـك يـا سـكوت. الله والديـن همـا مصدر كلّ شرّ. دعـاني أقـرأ لكمـا يـا جمـال ونيـك أحـد الأقـوال المفضّلـة لـديّ المأخـوذة مـن ريتشـارد دوكيـنز مـن كتـاب «الانخـداع بـالله». أنتمـا قـد سـمعتما بهـا عـلى الأرجـح «يمكـن القـول بـأنّ الله في العهـد القديـم هـو أبغـض شخصيّة في كلّ الروايـات الخياليّـة. هـو غَيـور ويفتخـر بذلك، هـو مهـووس بالسـيطرة، متدخـل بالتفاصيـل، غـير عـادل، وغـير رحـوم، هـو مطهّـر عـرقي محـبّ للانتقـام ومتعطـش للدمـاء، هـو متعصّـب ضـدّ النسـاء، يكـره المثليّـين، عنـصريّ، قاتـل للأطفـال، مفتعـل الإبـادات الجماعيـة، قاتـل للأبنـاء، ومحـدث الأوبئـة، يعـاني مـن جنـون العظمـة، سـاديّ مازوخـيّ، وخبيـث متقلّـب المـزاج يخطـط للـشرّ.»[١١]

ردّت مينـا قائلـةً «يبدو لي يـا أندريا أنّك تتّفقين مع معظم

١١. ريتشارد دوكينز، وهم الإله (نيويورك: هوفتون ميفلين، ٢٠٠٦)، ٥١.

«الملحدين الجدد» على أنّ البشر هم أخيار وصالحون في الأساس، هل أنا على حقّ؟»

هزّت أندريا برأسها ايجاباً.

«أنا لست أفهم كيف يُعتبر الأمر منطقياً. على سبيل المثال، إذا كان ريتشارد دوكينز يقول بأنّ هذا الكائن الشرّير الذي يُدعى الله هو مجرّد شخصيّة خياليّة، فمن المسؤول إذًا عن جميع شرور الدين؟ إذا كان الله غير موجودٍ بالفعل، إذًا فإنّ البشر هم الذين يخلقون هذه الديانات الشرّيرة. فلماذا إذًا ستغضبين من الله إذا كان مجرّد شخصيّة خياليّة؟ وكيف تبرّرين خير البشريّة بعد كلّ جرائم القتل التي حصلت في التاريخ؟»

«لأنّ معظم جرائم القتل يقوم بها الأشخاص الذي يؤمنون بالله!»

أجابت مينا مباشرة «في الواقع، هذا غير صحيح تاريخياً. ولكن، لنضع هذا الواقع جانباً لدقيقة ونفترض أنّ كلّ جريمة قتل حصلت في التارخ ارتكبها شخص يؤمن بالله. على أيّ

أساس يرتكز الملحد ليشعر بالتفاؤل؟ فعمليّات القتل هذه يقوم بها أشخاص من الجنس البشريّ، بغضّ النظر عن ماهيّة الشخصية الخياليّة التي يؤمنون بها.»

علّقت لورين قائلةً «أظنّ أنّ علينا أن نقبل بالعلم لا بالله.»

فسألت مينا «ولماذا لا نقبل بالاثنين؟ أنا أحبّ العلم ولكن له حدوده. يستطيع العلم أن يقدّم بيانات علميّة عن العالم الماديّ ولكن لا يمكنه الإجابة على أسئلة بسيطة حول الأخلاقيّات أو الصلاح. هل ساعدنا التقدّم العلميّ لنصبح مسالمين أكثر من قبل في السنوات المئة الأخيرة؟ أبداً. فعلى مرّ التاريخ يستمرّ البشر في ارتكاب الشرور بحقّ غيرهم من البشر، وربما لهذا السبب يعتبر الملحد ستيفن هوكينغ أنّه بهدف استمرار الجنس البشريّ، يجب علينا الانتشار إلى كواكب أخرى.»

قالت أندريا «قد لا تكون هذه فكرة سيّئة.»

تابعت مينا «بالعودة إلى تعليقك يا أندريا أنّ أغلب

عمليّات القتل يرتكبها من يؤمنون بالله، قد ترغبين بدراسة ما حصل على مرّ السنوات المئة الماضية. فإنّ الأنظمة الملحدة بقيادة ستالين وهتلر وماو قتلت أكثر من مئة مليون شخص. أمّا عمليّات القتل على يد المتديّنين المتعصّبين على مرّ مئات السنوات فنسبتها تقلّ عن واحد بالمئة من الشرّ الذي ارتكبه الإلحاد.[١٢] أعرف أنّ بعض كتّاب المدوّنات الملحدين يقولون بأنّ هتلر كان مسيحياً، ولكن هذا كلام فارغ من الناحية التاريخيّة. فهتلر بنفسه قال «سوف نتمكّن من القضاء على المسيحيّة باستخدام الفلاّحين.»[١٣] وهو في الواقع لام اليهود على خلق المسيحيّة.»

قال سكوت «أنا أدرك أنّ هتلر لم يكن مسيحياً حقيقياً. لكن أظنّ أنّ أصدقائي الملحدين أصحاب المدوّنات يشيرون إلى المقطع الذي يقول فيه «أنا أحارب من أجل عمل الربّ» في كتاب كفاحي.[١٤] ويكاد هذا الكلام يكون مقنعاً

١٢. دسوزا، ما هو الأمر العظيم بشأن المسيحيّة، ٢١٨.

١٣. كتاب حديث المائدة (Table Talk) لهيتلر (نيويورك: كتب إنيغما، ٢٠٠٠). اقتبس منه دسوزا، ما هو الأمر العظيم بشأن المسيحيّة، ٢١٨.

فعـلاً إلى أن تـدرك أنّ الأمـر كلّـه كنايـة عـن دعايـة سياسـية تهـدف إلى التأثير عـلى الجماهـير والتلاعـب بهـا. عـلى الرغـم مـن ذلـك، أنـا ظـنّ أنّ العالـم سـيكون أفضـل حـالاً مـن دون المسـيحيّة.»

أجابتـه مينـا «أنـت تفاجئـني بمـا تقولـه يـا سـكوت. فكونـك طالـب تاريـخ، لا بـدّ أنّ تعـرف كـم مـن أمـور جيّـدة حصلـت باسـم المسـيحيّة.»

ردَّت أندريـا بغضـب «لـم يسـاهم يسـوع وأتباعـه بـأيّ شيء صالـح في المجتمـع.»

فقالـت مينـا «أرجـوك يـا أندريـا، الـكلّ يعلـم أنّ هـذا غـير صحيـح. حـتّى دوكيـنز يعـترف بـأنّ العلـم انبثـق مـن الديـن. كمـا أنّ الراحـل الدكتـور د. جيمـس كينيـدي، الحائـز عـلى الدكتـوراه مـن جامعـة نيويـورك، وثّـق في أحـد كتبـه كاتبـاً إنّـه إن لـم يولـد المسـيح لـكان عالمنـا جـدّ مختلـف.[١٥]

١٤. أدولـف هيتلـر، كفاحـي (بوسـطن، هوفتـون ميفلـين، ١٩٩٩)، ٦٥. اقتبـس منـه دسـوزا، مـا هـو الأمـر العظيـم بشـأن المسـيحيّة، ٢١٧.

١٥. مقتبـس مـن المحتـوى الـوارد في د. جيمـس كينيـدي وجـيري نيوكـوم، مـاذا لـو لـم يولـد يسـوع؟ (ناشـفيل: توماس نيلسـون، ١٩٩٤).

أوّلاً، لقد رفّعت المسيحيّة قيمة الحياة البشريّة. فعلى سبيل المثال، في روما واليونان في العصر الكلاسيكي، كان قتل الأطفال يُعدّ أمراً قانونياً وليس ذلك فحسب، بل كان أيضاً مدعوماً من بعض القادة! إنَّ الكنيسة المسيحيّة الأولى هي التي وضعت حدًّا لقتل الأطفال في نهاية المطاف. ولطالما نظرت المسيحية للأطفال باحترام وقيمة منذ البداية، حتى الأطفال الذين لم يولدوا بعد.»

فتدخّلت لورين قائلةً «الآن سيبدأ الحديث المعارض للإجهاض. المسيحيّة لا تعطي قيمة للحياة البشرية، بل تذلّ المرأة ولطالما فعلت ذلك.»

فقالت مينا «هذا الكلام ليس صحيحاً تماماً يا لورين. لا تتردّد في تصحيح ما سأقوله يا سكوت إذا كنتُ على خطأ، ولكن في الثقافات القديمة، كانت الزوجة ملكاً لزوجها. وقال أرسطو إنّ المرأة تأتي في مرتبة ما بين الرجل الحرّ والعبد. وفي أجزاء من الهند، كانت الأرامل تُحرقن فوق محرقات جثث أزواجهنّ. وإذا نظرتِ إلى التاريخ يا لورين، سترين أنّ البعثات المسيحيّة كان لها تأثير كبير على إيقاف

تلك الممارسات والأفكار التي دامت عصوراً.»

قال بريت، «أنا لديّ سؤال حول هذا الأمر، فغالباً ما يتكلّم المسيحيّون عن تعاطفهم الكبير نحو الناس، ولكن ماذا عن جميع الآباء المؤسّسين لأميركا الذين أعلنوا أنّهم مسيحيّون وكانوا يملكون العبيد؟ كيف تفسّرين ذلك؟»

فسأل جمال « في دقيقتين أو في اثني عشر ساعة؟»

فضحك الجميع وساهم ذلك في التخفيف من التوتّر الطبيعي الذي ينشأ في النقاش. عاد البعض منهم إلى المنضدة من أجل إعادة تعبئة أكوابهم، وصلّت جيسيكا بصمت في قلبها من أجل أندريا. أمّا نيك وبريت فتوجّها إلى الحمّام فسأله نيك «ما زالت الأمور تناسبك من ناحية الوقت؟»

فأجاب بريت «لا يزال لديّ وقت. النقاش مثير للاهتمام، مع أنَّنا نطرح مواضيع مختلفة وغير مترابطة. أصدقاؤك يتمتّعون بالخبرة كلّ في مجاله. كنت أريد أن

أسألك يوم أمس عندما ذكرت اسمه، هل جمال...»

قاطعه نيك «من نوتردام؟» هزّ بريت برأسه موافقاً. «إنّه هو الشخص بعينه، وبالإضافة إلى ذلك لديه قصّة مذهلة أيضاً، طبعاً، إلاّ إذا كنتَ تعتبر أنّ الاختبارات الشخصيّة هي مضيعة للوقت». استدار نيك مبتسماً وضربه بريت على ذراعه.

الفصل السابع

يسوع المسيح كرجل من التاريخ

مـع عـودة الجميـع إلى الطاولـة، تابـع جمـال الحديـث مـن السـؤال الـذي توقفـوا عنـده وقـال «يسـهل عـلى النـاس عـادة فعـل الأمـور المعتاديـن عليهـا. ولطالمـا كان يوجـد مسـيحيّون ملتزمون يعيشـون ضمـن أنظمة اجتماعية مشـوّهة ويشـاركون بأعمالهـا. أنـا لسـت فخورًا بذلـك الأمر ولـن أنكره. فالبعـض مـن أجـدادي كانـون عبيـدًا هنـا في أمريـكا، لذلـك درسـت الموضـوع وفكّـرت فيـه بجديّـة. لكـنّ الأمـر الجديـر بالذكـر، أكـثر مـن أولئـك المسـيحيّين الذيـن كانـوا يملكـون

العبيـد، سـواء في الولايـات المتّحـدة أو في الإمبراطوريـة الرومانيّـة في زمـن العهـد الجديـد، هـو أنَّ العبوديّـة قـد انتهـت بأغلبهـا عـلى يـد ناشـطين مسـيحيّين. فعـلى سـبيل المثـال، يصـف المؤرّخـون البريطـانيّ الإنجيـليّ ويليـام ويلبرفـورس بأنَّـه العامـل الرئيـسي في إنهـاء تجـارة الرقيـق الدوليّـة، قبـل الحـرب الأهليّـة الأمريكيّـة بقليـل. وثُلثـا أعضـاء المنظمّـة الأمريكيـة لإلغـاء العبوديّـة في العـام ١٨٣٥ كانـوا مـن الخـدّام المسـيحيّين.»

قالـت أندريـا «أنـا لا زلـتُ أعتـبر أنّ تعاليـم يسـوع قمعـت النسـاء، والتعليـم، والعلـم.»

فكّر نيك في نفسه «بالطبع ستعتبرين ذلك.»

صلّـت جيسـيكا في قلبهـا قائلـةً «يـا رب، أرجـوك أن تؤكّـد لهـا عـلى حبّـك لهـا. لا بـدَّ أنَّ لديهـا سـبب يعطيهـا تلـك القناعـة السـلبيّة القويّـة.»

التزمـت مينـا الصمـت قليـلاً قبـل أن تـردّ. لـم تُـرد أن تهاجـم بتسـرّع تعليقـات أندريـا، ولكـن لـم يكـن يوجـد لتلك

التعليقـات أيّ أسـاس. «أتعرفـون أنّ جميـع الكليّـات الـ١٢٣ الأولى في أمريـكا الاسـتعماريّة إلّا واحـدة كانـت في الأسـاس مؤسّسـات مسـيحيّة؟ فالكثـير مـن مؤسّـسي العلـوم الحديثـة كانـوا مـن المسـيحيّين. وهـم رجـال أمثـال كيبلـر، بويـل، باسـكال، باسـتور، نيوتـن ومـا إلى ذلـك. لا أرى الكثـير مـن القمـع عندهـم.»

قـال نيـك بصـوت مرتفـع قليـلاً «انتظـري لحظـة. يـا مينـا، بغـضّ النظـر عـن الأمـور الـتي تُجـرى باسـم المسـيح، سـواء كانـت أمـور جيّـدة أم سـيّئة، أظـنّ أنّ علينـا العـودة إلى حديثنـا الأصـليّ عـن هويّـة المسـيح التاريخـي الحقيقـيّ. كنـتُ آمـل أن يكـون بإمكانـكِ أنـتِ وجمـال مشـاركتنا ببعـض الأدلّـة الـتي فسّرتموهـا لي العـام المـاضي عـن وجود المسـيح في التاريـخ. أظـنّ أنّ علينـا الـردّ عـلى بعـض التعليقـات مـن راسـل وهيتشـنز الـتي ذكرهـا بريـت مسـبقاً. كيـف يمكننـا أن نعـرف أنّ المسـيح كان موجـوداً بالفعـل؟»

قـال بريـت «أنـا أوافقـك الـرأي، أودّ الاسـتماع إلى بعـض الأدلّـة التاريخيّـة الـتي تثبـت وجـود المسـيح، لاسـيما أدلّـة

مـن خـارج الكتـاب المقـدّس الـذي هـو مشـتبه فيـه طبعـاً، ذلـك إن لـم يكـن محرّفـاً.»

فقـال جمـال «يـسرّني اعطـاؤك بعـض الأدلّـة الخارجـة عـن الكتـاب المقـدّس. ولكـن يـا بريـت، لا داعـي للانحيـاز والتشـكيك بسـبعة وعشريـن سـفراً منفصلـين مـن العهـد الجديـد لمجـرّد وجودهـم معـاً في «الكتـاب المقـدّس»، ولا مـبرّر لذلـك تاريخيـاً. حـتّى وإن كنـتَ مشـكّكًا في المسـيحيّة، فالكتـاب المقـدّس مسـتند تاريخـيّ موثـوق منـه.»[١٦]

هـزّ بريـت برأسـه وأكمـل جمـال كلامـه قائـلاً «حـتّى الثـوريّ الأمريـكي توماس بايـن، الـذي تعامـل مـع المسـيحيّة بكامـل الازدراء، لـم يشـكّك في تاريخيّـة يسـوع النـاصري. مـع أنَّ بايـن نظـر للـكلام الكتـابي المتعلّـق بألوهيّـة يسـوع كأسـطوريّ، إلا أنَّـه اعتـبر أنّ يسـوع عـاش فعليـاً. «لقـد كان (يسـوع المسـيح) رجـلاً فاضـلاً ومحبَّـاً. والأخلاقيّـات الـتي بـشّر بهـا ومارسـها كانـت مـن النـوع الأكـثر حبّـاً للخـير. ومـع

١٦. للمزيـد مـن المعلومـات عـن موثوقيّـة العهـد الجديد، يُرجـى مراجعة الكتـاب الأوّل في سلسـلة «سـجل أحـداث في مقهـى»، هـل الكتـاب المقـدّس حقيقـيّ... حقًّـا؟

أنّ كونفوشيوس والبعض من الفلاسفة الإغريق والكثير من الرجال الأفاضل في جميع العصور قد بشّروا بأنظمة أخلاقيّة مشابهة، إلا أنَّ أيّ منها لم تتجاوز أخلاقيات المسيح».»[١٧]

قال نيك «اسمعوا هذا القول المقتبس الذي وجدته العام الماضي بينما كنتُ أجري أبحاثي من أجل كتابة ورقة البحث. إنَّه من ف.ف. بروس، أستاذ رايلاندز للنقد الكتابي وعلم التفسير في جامعة مانشستر: «قد يتكلَّم بعض المؤلّفين بتسرّع ووهميَّة عن «المسيح الأسطورة» ولكنّهم لا يستندون بكلامهم على أساس الأدلّة التاريخيّة. إنّ تاريخيّة المسيح بديهيّة بالنسبة إلى مؤرّخ غير متحيّز بقدر ما هي تاريخيّة يوليوس قيصر. ليس إذاً المؤرّخون الحقيقيون من ينشرون نظريّات «المسيح الأسطورة».»[١٨]

قال بريت «حسناً. أعطني بعض الأدلّة!»

---

١٧. توماس باين، المؤلّفات المجمّعة، نسخة إريك فونر (نيويورك: مكتبة أميركا، ١٩٩٥)، ٩.

١٨. ف. ف. بروس، وثائق العهد الجديد: هل هي موثوقة؟ (داونرز غروف، إيلينوي: دار نشر إنتيرفارسيتي، ١٩٧٢)، ١١٩.

تكلّم جمال قائلاً «لقد أحضرتُ لك يا بريت بعض البحوث التي أجريتها من أجل عرض سأقدّمه خلال بضعة أسابيع. إنّها موجودة على جهازي الكمبيوتر وإذا كنت لا تمانع، فسأقوم بقراءتها أو أطلب منك قراءتها عن الجهاز أمامك على الطاولة.»

هزّ بريت برأسه ايجاباً. فأدرك نيك أنّ هذا شابٌ يحبّ الحركة. وفكّر في نفسه «من المنطقي إذًا أنّه يركب تلك الدراجة الناريّة.»

«حسناً، لنبدأ بالوثائق العلمانيّة حول تاريخيّة يسوع. وبكلمة علمانية أعني أنَّها غير مسيحيّة، وغير يهوديّة، وبشكل عامّ عدائيّة تجاه المسيحيّة. أوّلاً، لدينا كورنيليوس تاسيتوس (٥٥ ب.م – ١٢٠). وهو كان مؤرّخاً رومانياً عاش في عهد ستّة أباطرة. لقد حمل لقب أعظم مؤرّخ في روما القديمة، وهو شخص حصل على تقدير العلماء بشكل عام من أجل «نزاهته الأخلاقيّة وصلاحه الكبير».»[١٩]

١٩. غاري ر. هابرماس، حكم التاريخ (ناشفيل: توماس نيلسون، ١٩٨٨)، ٨٧.

فسأل بريت «هل ما يقوله جمال صحيح يا سكوت؟»

ردّ سكوت «أجل، هذا صحيح. أكبر أعمال تاسيتوس المشهود لها هي من كتابيّ «السجلات» و «التاريخ». يغطّي كتاب «السجلات» الفترة الممتدّة من وفاة أغسطينوس في العام ١٤ ب.م. لغاية وفاة نيرون في العام ٦٨ ب.م.، بينما يبدأ كتاب «التاريخ» بعد وفاة نيرون لغاية وفاة دوميتيان في العام ٩٦ ب.م.»[٢٠]

سأل جمال «من يرغب في القراءة من عمل تاسيتوس؟»

ردّت جيسيكا بالقول «أنا سأقرأ» متكلّمة للمرّة الأولى، أقلّه بصوت مسموعٍ.

فسلّمها جمال حاسوبه.

«ولكن عجزت كل الراحة التي يمكن أن تأتي من انسان، وكل الخيرات التي يمكن أن يعطيها الأمير، وكلّ أعمال الكفارة

٢٠. المرجع نفسه.

الـتي يمكـن تقديمهـا للآلهـة أن تكـون ذو فائـدة لنـيرون لتريحـه مـن الخـزي والصيـت الـسيء بأنّـه هـو مـن أمـر بإشـعال رومـا وإحراقهـا. وبالتـالي بهـدف قمـع تلـك الشـائعات، اتَّهـم زورًا الأشـخاص المعروفـون عامّـة باسـم المسـيحيّين والذيـن كانـوا مكروهين بسـبب فداحة أعمالهـم، وعاقبهـم باسـتعمال وسـائل التعذيـب الأكـثر وحشـية. وقـد كان المسـيح (كريسـتوس)، وهـو أسـاس الإسـم الـذي أُطلـق عليهـم، قـد قُتـل عـلى يـد بيلاطـس البنطـي حاكـم اليهوديّـة في عهـد تيبيريـوس: غـير أنّ الخرافـات الخبيثـة الـتي قُمعـت لفـترة زمنيّـة معيّنـة، شـاعت مـن جديـد، ليـس عـبر اليهوديّـة فحسـب، حيـث نشـأ أصـل الأذى، ولكـن في مدينـة رومـا أيضـاً.»[٢١]

فقالت جيسـيكا «يبدو أنّ تاسـيتوس لا يحبّ المسـيحيّين، ولكنّـه يتفّـق مـع قانـون الإيمـان الـذي كنّـا نـردّده في الكنيسـة حيـث أنَّ المسـيح «تألّـم في عهـد بيلاطـس البنطـي.»

٢١. كورنيليـوس تاسـيتوس، السـجلات (شـيكاغو: ويليـام بنتـون، ١٩٥٢)، الخامـس عـشر، ٤٤.

قـال جمـال بينمـا تقـدّم لاسـتعادة حاسـوبه للبحـث عـن اسـم مـؤرّخ آخـر «هـذه ملاحظـة ممتـازة يـا جيسـيكا» وأضـاف «بهـذه النقطـة نحـن نؤكّـد أنّ المسـيح كان رجـلاً مـن التاريـخ وأنَّ أكـثر المؤرّخـين المحايديـن دينيـاً يعترفـون بحقائـق عديـدة متعلّقـة بالمسـيح مثـل موتـه. إنَّ الشـاعر اليونـانيّ السـاخر مـن القـرن الثـاني المدعـو لوقيانـوس قـد تكلّـم بـازدراء عـن المسـيح والمسـيحيّين ولـم يفـترض أو يقـترح يومـاً أنهـم غـير حقيقيّـين. هـل يمكنـك يـا بريـت أن تقـرأ جـزءاً مـن هاتـين الصفحتـين مـن كتـاب لوقيانـوس «وفـاة بيريغرينـوس»؟

تناول بريت جهاز الكمبيوتر وبدأ بالقراءة.

«كمـا تعـرف، يعبـد المسـيحيّون لغايـة يومنـا هـذا رجلاً، وهـو الشـخص البـارز الـذي ابتـدأ بطقوسـهم الجديـدة وصُلب.»[٢٢]

قـال بريـت «آهـا! الجـزء التـالي يتكلّم عـن أنّهـم مضلَّلون

٢٢. لوقيانوس السميساطي، وفاة بيريجرين، في أعمال لوقيانوس السميساطي، ٤ مجلدات، نصّ هـ. و. فاولر و ف. ج. فاولر (أوكسفورد: دار نشر ذي كلارندون، ١٩٤٩)، ١١ – ١٣.

ويبدو لي صحيحاً.»

«المسيحيّون كناية عن مخلوقات مضلَّلَة وقناعتهم الجماعيّة الأولى هي أنّهم خالدون للحياة أبديّة، ما يفسّر ازدرائهم للموت وتكريسهم الشخصيّ الإرادي الشائع بينهم. من ثمّ علّمهم مشرّعُهم الأصليّ بأنّهم جميعاً إخوة من اللحظة التي يعتنقون فيها الإيمان وينكرون آلهة الإغريق ويعبدون ذلك الحكيم المصلوب ويتبعون شريعته في حياتهم. وتفسيرهم لكلّ هذا هو الإيمان، ما يجعلهم بالنتيجة يحتقرون جميع المقتنيات الدنيويّة مهما كانت ويعتبرون أنّها مجرّد ممتلكات عامّة.»[٢٣]

قال نيك «فكّر في ما قرأته يا بريت. اعتبر لوقيانوس أنّ أتباع المسيح كانوا مضلَّلين ولكنّه لم يحاول أن يجادل في الحقيقة التاريخيّة حول صلب المسيح وتفاني أتباعه في عبادتهم للمسيح وفي عطفهم تجاه بعضهم.»

استرجع جمال جهاز حاسوبه وبحث عن اسم آخر.

٢٣. المرجع نفسه.

«سويتونيوس مؤرّخ رومانيّ عمل كمسؤول في المحكمة في عهد الامبرطور هادريان وكمؤرّخ حوليات في الديوان الامبراطوري، وقد قال في كتابه «حياة كلوديوس ٢٥،٤»: «بما أنّ اليهود كانوا يتسبّبون باضطرابات مستمرة بسبب التحريض الذي قام به المسيح، قام (كلوديوس) بطردهم من روما.»[٢٤] يشير لوقا إلى هذا الحدث في سفر أعمال الرسل ١٨: ٢، وهو قد حصل في العام ٤٩ ب.م. وفي عمل آخر، كتب سويتونيوس عن الحريق الذي اجتاح روما في العام ٦٤ ب.م. في عهد نيرون. فقال سويتونيوس إنّ «هذا العقاب قد ألحقه نيرون بالمسيحيّين، وهم فئة من الناس المنقادين وراء خرافات جديدة ومؤذية».»[٢٥]

قال سكوت «عجباً ! لم أكن أعلم أنّ سويتونيوس كتب ذلك. كنتُ قد قرأت عمّا كتبه بلينيوس الأصغر عن المسيح، ولكن هذه المعلومات مثيرة للاهتمام.»

قلبت أندريا عينيها بسخرية ونظرت إلى بريت الجالس

٢٤. لوقيانوس، «حياة كلوديوس»، في أعمال لوقيانوس السميساطي، ٢٥،٤.
٢٥. سويتونيوس، حياة القياصرة، ٢٦،٢.

إلى يسارها. مال بريت إليها وهمس قائلاً «من كان بلينيوس الأصغر هذا؟»

فسألت أندريا تلقائياً «من كان بلينيوس الأصغر يا جمال؟»

نظر سكوت مباشرةً إلى جمال من ثمّ تجنّب بسرعة التقاء أعينهما. فهو كان يعرف أنّ بلينيوس قتل الكثير من المسيحيّين ولم يكن يريد إعادة فتح نقاش حول الشرور التي قام بها غير المسيحيّين.

«يا أندريا، كان بلينيوس حاكم بيثينيا في آسيا الصغرى في العام ١١٢ ب.م. وقد كتب بلينيوس إلى الامبراطور تراجان لطلب مشورته حول كيفيّة التعامل مع المسيحيّين. فسّر له أنّه كان يقتل كلّ المسيحيّين الذين يصادفهم، رجالاً ونساء، صبياناً وبنات، ولكنَّ عدد الذين كانوا يتعرَّضون للموت منهم أصبح كبيراً لدرجة أنّه يتساءل ما إذا عليه الاستمرار في قتل أيّ شخص يُكتشف بأنّه مسيحيّ أو ما إذا عليه قتل أشخاص معيّنين منهم فقط. وفسّر أنّه قام

بإجبار المسيحيّين على الإنحناء أمام تماثيل تراجان. وتابع بلينيوس بالقول إنّه جعلهم أيضاً «يلعنون المسيح وهو أمر لا يمكن إقناع أيّ مسيحيّ حقيقيّ بفعله».[٢٦]

«دعوني أقرأ لكم من الرسالة نفسها التي يتكلّم فيها بلينيوس عن المسيحيّين الذين تتمّ محاكمتهم. «غير أنّهم أكّدوا أنَّ كلَّ ذنبهم أو خطئهم هو أنّهم كانوا يعتادون الالتقاء دورياً في يوم محدّد قبل بزوغ الفجر ليرنّموا آيات بالتناوب في ما بينهم تكريماً للمسيح كما لو كان إلهاً، وأنّهم أخذوا عهداً رسمياً على أنفسهم بعدم القيام بأيّ أعمال شرّيرة وعدم ارتكاب أي تزوير أو سرقة أو زنى، وبعدم تزوير كلامهم وعدم خيانة الأمانة عندما يُطلب منهم حفظها».[٢٧]

٢٦. بلينيوس الأصغر، الرسائل العاشر.

٢٧. المرجع نفسه.

الفصل الثامن

هل تصدّق أيّ شيء في التاريخ؟

سألت لورين «أهذه كلّ الموارد التي تملكها؟»

فحدّق سكوت بها باستياء قائلاً «أهذه كلّ الموارد التي يمتلكها؟ ماذا تعنين بذلك؟ أتصدّقين أقلّه أمراً واحداً في التاريخ؟ لماذا لا نستطيع الاعتراف ببساطة بصفتنا ملحدين أو لا أدريّين أو مهما كنّا، أنّ يسوع المسيح كان موجوداً في التاريخ ومات على صليب وكان لديه أتباع مكرّسين لو كانوا ربما جهلاء؟ هل هذه حقاً مشكلة؟ عندما يكتب الملحدون أمثال راسل وهيتشنز وكاتبو

المدوّنات الذين لن يصبحوا علماءً يوماً مُشككين في تاريخيّة المسيح، أظنّ أنَّ ذلك يضرّنا. لأنّه أمر يثبت أنّنا لم نُتعب أنفسنا حتّى بإجراء البحوث حول المسألة.»

قال جمال مقترحاً «يسرّني أن أشارككم بالمزيد من الأمثلة يا لورين.»

حدّقت لورين بِسْكوت بغضب وقالت «أرجوك أن تفعل ذلك.»

«ثالوس هو من أوَّل المؤلّفين العلمانيّين الذين ذكروا المسيح، ففي حوالى العام ٥٢ ب.م. كتب ثالوس «تاريخ العالم شرق الأَوسطي من حرب طروادة لغاية زمنه الحالي.»[٢٨] لسوء الحظّ إنّ مؤلّفاته غير متوفّرة حالياً إلاّ في أجزاء متقطّعة ذكرها مؤلّفون آخرون. يوليوس أفريكانوس هو من بين هؤلاء المؤلفين وهو مسيحيّ دوّن أعماله في العام ٢٢١ ب.م. تقريباً. ثمّة مقطع جدُّ مثير للاهتمام مرتبط بتعليق من ثالوس عن الظلمة التي غمرت الأرض

٢٨. هابرماس، حكم التاريخ، ٩٣.

خـلال سـاعات بعـد الظهـر عندمـا مـات يسـوع عـلى الصليـب. ويوليـوس أفريكانـوس المؤلّـف مـن القـرن الثالـث قـد ذكـر كتابـات ثالـوس. أتمانعـين قـراءة هـذا المقطـع يـا أندريـا؟»

«لست أريد، شكراً لك.»

فابتسم لها جمال ثمّ قرأ المقطع بنفسه:

«في الكتـاب الثالـث الـذي كتبـه ثالـوس عـن تاريخـه يُـبرِّر ظاهـرة الظلمـة الـتي حصلـت عـلى أنَّهـا كسـوف للشـمس – وذلـك أمـر غـير معقـول بالنسـبة إليّ (إنَّـه غـير معقـول فعـلاً لأنَّـه يسـتحيل حصـول كسـوف للشـمس في مرحلـة القمـر الكامـل، وحصـل أنَّـه في زمـن القمـر الفصحـيّ الكامـل قـد مـات المسيح).»[٢٩] فسـأل بريت «ولمـاذا تُعتبر إشـارة أفريكانـوس إلى ثالـوس أمراً هاماً إلى تلـك الدرجة؟»

«إنّهـا إشـارة مهمّـة تاريخيـاً لأنّهـا إشـارة أخـرى مـن مصـادر غـير مسـيحيّة تشـير إلى يسـوع المسـيح وقـد

٢٩. يوليوس أفريكانوس، التسلسل الزمني، ١٨،١.

كُتبت في وقت مبكر. تُظهر هذه الإشارة بالتحديد أنّ ما يقوله الإنجيل عن الظلمة التي غطّت الأرض خلال صلب المسيح كانت في الواقع ظاهرة معروفة جداً وتطلّبت تفسيرات طبيعيّة من غير المسيحيّين. لم يشكّك ثالوس في أمر صلب يسوع وفي حصول حدث طبيعيّ غير اعتياديٍّ يتطلّب تفسيراً. الأمر الذي شغل فكره كان مَهمّته لايجاد تفسير مختلف. لم تكن الحقائق الرئيسيّة موضوع شكّ أو تساؤل.»[٣٠]

قال بريت معلِّقاً «أشكرك على مشاركتنا بكلّ هذه المعلومات. صراحةً، لم أكن أعلم بوجود كلّ هذه الوثائق عن المسيح خارج العهد الجديد. وبالطبع لا تثبت أيّ واحدة منها أنّ يسوع هو الله أو حتّى أنّه كان صالحاً. فالعهد الجديد يصفه على أنّه يدين الناس بإرسالهم إلى جهنّم ويطرد الناس من الهيكل بسياط وحتّى بأنّه لعن شجرة تين لأنّها لم تحمل ثماراً. ليس المسيح شخصاً قد أودّ أن أتبعه ولكنّك أعطيتني أسباباً لأؤمن بوجوده في التاريخ.»

٣٠. بروس، وثائق العهد الجديد، ١١٣.

قـال جمـال «هـذه اعتراضـات منطقيّـة وسـيسرّني أن أعالـج كلّ واحـدة منهـا في حديـث لاحـق. آمـل أن نكـون في الوقـت الراهـن قـد وضعنـا أساسـات تاريخيّـة بـأنّ المسـيح كان موجـوداً بالفعـل. وأرغـب أيضـاً في أخـذ دقيقـة إضافيَّـة مـن وقتـك لأتطـرّق إلى اعتراضـك بأنَّـه لا يمكننـا معرفـة مـا إذا كان يسـوع صالحـاً.»

نظر بريت إلى ساعته. «تفضَّل.»

«حـتّى البعـض مـن المؤلّفـين الوثنيّـين في القـرن الأوّل اعتـبروا يسـوع صالحـاً. دعـوني أقـرأ لكـم مـن كتابـات مؤلّـف أخـير مـن القـرن الأوَّل وهـو غـير مسـيحيّ وغـير يهـوديّ. مـارا بـن سرافيـون هـو فيلسـوف سـوري وعـلى الأرجـح مـن معتنقـي الفلسـفة الرواقيَّـة وقـد كَتَـب في الجـزء الأخـير مـن القـرن الأوّل رسـالةً مـن السـجن إلى ابنـه يشـجّعه فيهـا عـلى البحـث عـن الحكمـة. وفي رسـالته يقـارن يسـوع بالفلاسـفة سـقراط وفيثاغـورس. نيـك؟»

أخذ نيك الكمبيوتر وقرأ باهتمام صادق.

بمـاذا اسـتفاد أهـل أثينـا مـن إعـدام سـقراط؟ أصابتهـم

المجاعـة والأوبئـة كدينونـة عـلى جريمتهـم. بمـاذا اسـتفاد رجـال جزيـرة سـاموس مـن حـرق فيثاغـورس؟ في لحظـة واحـدة أصبحـت أرضهـم مغطّـاة بالرِّمـال. بمـاذا اسـتفاد اليهـود مـن إعـدام ملكهـم الحكيـم؟ بعـد ذلـك مبـاشرةً تـمَّ تدمـير مملكتهـم وإلغائهـا. لقـد انتقـم الله بالعـدل لهـؤلاء الرجـال الحكمـاء الثلاثـة. فمـات أهـل أثينـا مـن الجـوع، وغمـر البحـر أهـل سـاموس واليهـود أصابهـم الخـراب وطُـرِدوا مـن أرضهـم وعاشـوا في شـتات كامـل. لكـنّ سـقراط لـم يمُـت إلى الأبـد بـل بقـي حيًّـاً في تعاليـم أفلاطـون. وفيثاغـورس لـم يمُـت إلى الأبـد بـل عـاش ذكـراه في تمثـال هـيرا. كمـا ولـم يمُـت الملـك الحكيـم إلى الأبـد بـل عـاش في التعاليـم الـتي أعطاهـا.[٣١]

سأل جمال «ماذا تلاحظون جميعكم في ما قرأته؟»

تكلّـم بريـت: «يبـدو أنّ هـذا المؤلّـف يحـبّ الفلاسـفة. يبـدو أنّـه يسـتخدم عبـارة «الملـك الحكيـم» لوصـف المسـيح. هـذا واضـح مـن إشـارته إلى شـتات اليهـود. لقـد

٣١. المرجع نفسه، ١٢٣.

كُتبت هذه الرسالة بعد العام ٧٠ ب.م. و«الملك الحكيم» عاش قبل العام ٧٠ ب.م. ومن الواضح أنَّ مارا بن سرافيون ليس مسيحيًّا مثلكم إذ أنَّه يضع يسوع على قدم المساواة مع سقراط وفيثاغورس.»

قال نيك «أنا أوافقك الرأي يا بريت. كما أنّه يعتبر أنّ يسوع يعيش من خلال تعاليمه بدلاً من قيامته. لكنّه اعتبر يسوع معلِّماً صالحاً بما فيه الكفاية ليضمن دينونة الله لليهود. وبالطبع لم يشكّك في ما إذا كان المسيح قد عاش فعلياً أم لا.»

فرفعت أندريا صوتها قائلةً: «لقد أثبتم إذًا أنّ يسوع قد عاش. فما الجليل بذلك؟ هذا لا يجعله الله. لا يمكنك أن تثبت أنّه وُلد من عذراء، لا يمكنك أن تثبت المعجزات التي قام بها ولا يمكنك أن تثبت قيامته من الموت. لقد قضينا كلّ هذا الوقت نتكلّم ولم نتعلّم شيئاً.»

«هل تتذكّرين يا أندريا المرّة التي قصدتِ فيها مكتبي في فصل الربيع السابق وشرحتُ لك بعض الأدلّة

عـن معجـزات المسـيح وبخاصَّـة عـن قيامتـه؟ يسـعدني أن أراجـع معـكِ البعـض مـن تلـك الأدلّـة إذا رغبـتِ في ذلـك.»

قـال بريـت «حسـناً، عـليّ أن أذهـب الآن. يجـب أن ألتقـي بحبيبـتي لتنـاول العشـاء معهـا. ولكـن يـا جمـال أنـا أقـدّر شرحـك لنـا للأدلّـة التاريخيّـة عـلى وجـود المسـيح. سـأحرص عـلى حضـور محاضرتـك خـلال بضعـة أسـابيع!»

وقـف جمـال ليصافـح بريـت ووقفـت أندريـا أيضـاً قائلـةً «مـن الأفضـل لي أن أذهـب أنـا أيضـاً.» وبينمـا كان الجميـع يودّعـون بعضهـم بعضـاً، أدركـت أندريـا للحظـة وجـيزة كـم كان جمـال مقنعـاً ولطيفـاً في دفاعـه عـن وجـود المسـيح أمـام بريـت وأصدقائـه. مـن ثـمّ ضحكـت لوريـن وقالـت «يـا للهـول يـا جمـال! كـم يبلـغ طولـك؟»

ففكّـرت أندريـا في نفسـها، «آه أرجـوكِ يـا لوريـن! إنَّـه يسـمع هـذا التعليـق كلّ الوقـت. حـتّى صديقـتي الملحـدة تحـاول مغازلـة جمـال.»

«مـترٌ وثمانيـة وتسـعون سـنتمتراً ويُعتـبر هـذا الطـول

متوسِّطاً في تكساس! ما رأيكم لو نلتقي كلُّنا مرَّة أخرى هنا في هذا المكان؟ كما أنّني أودّ لو تحضرون جميعكم المناظرة بعد ثلاثة أسابيع.»

قال بريت «نحن لقد سبق وأعلنّا عن الحدَث في مجموعة الملحدين.»

« ممتاز! لقد سُررت بالالتقاء بكم يا بريت وسكوت ولورين. وشكراً لكِ يا أندريا على قضاء هذا الوقت معنا.»

الفصل التاسع

مناظرة جمال

كانـت أندريـا تتصـارع مـع معتقداتهـا بشـأن المسـيح. لـم تكـن تصـدّق أنّ نيـك وجيسـيكا كرّسـا نفسـيهما بالكامـل ليسـوع في السـنة الماضيـة. لـم تكـن تتصـارع مع فكـرة ولادته مـن عـذراء أو ألوهيّتـه أو قيامتـه. ولكـن كان مـن الصعـب جـداً عليهـا أن تصـدّق أنّـه الطريـق الوحيـد للخـلاص. مـاذا عـن جميـع أولئـك الأطفـال الذيـن يموتـون مـن دون سـماع الإنجيـل؟ بـدا لهـا أنَّ التفكـير في أنّهـم في جهنّـم لأنّهـم لـم يعرفـوا يومـاً عـن يسـوع هـو خطـأ فـادحٌ.

كانـت قـد لجـأت إلى نـادي الملحديـن ظنّـاً منهـا أنّهـم سـيكونون صادقـين فكريـاً ولكـن بـدا أنَّ لديهـم صراعاتهـم وتناقضاتهـم أيضـاً. ومؤخّـراً، تقاعـد أسـتاذها المفضّـل الدكتـور ويليـام بيترسـون مـن التعليـم بـدوام كامـل ويبـدو الآن أكـثر انفتاحـاً للمسـيحيّة. لقـد كان الفضـول يملأهـا لسـماع ردِّه عـلى آراء جمـال وأملـت أن يطـرح أسـئلة جيّـدة عـلى جمـال في المنتـدى الـذي سـيُقام الليلـة مـع الدكتـور هيتزفيلـد والدكتـور غوفـران.

تأخّـرت أندريـا في الوصـول ولـم تتمكّـن من إيجـاد موقف للسـيّارة في أيّ مـكان بالقـرب مـن قاعـة ويسـلي للمحـاضرات. وعندمـا وصلـت أخـيراً بعـد مـرور خمـس وأربعـين دقيقـة عـلى بـدء البرنامـج، لـم تجـد أيّ مقعـد شـاغر. ففكّـرت في نفسـها «هـذا غـير معقـول». ومـن المـكان الـذي وقفـت فيـه في الخلـف تمكّنـت مـن رؤيـة نيـك ومينـا وجيسـيكا جالسـين في الصـفّ الأمامـي وأصدقاءهـا بريـت ولوريـن وسـكوت خلفهم مبـاشرةً. فقلبـت عينيهـا.

كان الدكتور بيترسـون على المسرح يصافح أحد المقدّمين

ويأخـذ منـه الميكروفـون «شـكراً لـك دكتـور هيتزفيلـد. أودّ الآن دعـوة السـيّد جمـال واشـنطن إلى منصّـة القـراءة. سـيّد واشــنطن، لديــك خمــس عــشرة دقيقــة للــردّ عــلى حُجَّــة الدكتــور هيتزفيلــد بغيــاب الموثوقيــة التاريخيّــة للشــهادة عــن المسـيح.»

وقــف جمــال أمــام الميكروفــون مرتديــاً بدلــة ســوداء ونظـارات متألّقـة. وببنيَتِـه الرياضيّـة وسـلوكه العلمـي أضفـى تلقائيـاً نوعـاً مـن السـلطان مـن عـلى المنصّـة. ففكّـرت أندريـا في نفسـها «لا عجَـب أنّ جميـع صديقـاتي تُغازلنـه!»

بعــد ملاحظــات افتتاحيّــة وتحيّــات سريعــة، غــاص جمـال في الموضـوع مبـاشرةً. «دكتـور هيتزفيلـد، لا يمكننـا إنـكار الحقيقـة التاريخيّـة الـتي اعترفـت بهـا عـن اضطهـاد المسـيحيّين الأوائـل مـن أجـل كلامهـم العلـنيّ بـأنّ يسـوع عـاش ومـات وقـام مـن المـوت وظهـر للكثيريـن بعـد قيامته. لـم يكـن لـدى هـؤلاء المسـيحيّين الأوائـل أي شيء ليربحـوه بـل كانـوا سـيخسرون كلّ شيء مـن أجـل شـهادتهم بـأنّ تلـك

الأمور قد حصلت بالفعل. ولهذا السبب، فإنّ القصص التي أخبروها تُعدّ مصادر تاريخيّة ذات قيمة ومعنى كبيرين.

من ثمّ استدار جمال إلى الجمهور «أرجو منكم الانتباه جيداً لما سأقوله الآن فهذه حجّة لن تودّوا تفويتها. في صفحات العهد الجديد نجد ما يُعرِّف عنه العلماء الكتابيّون بكونه أقلّه أجزاء من الاعترافات العقائديّة المسيحيّة الأولى التي تمّت صياغتها وتناقلها شفهياً لسنوات قبل تسجيلها في أسفار العهد الجديد. وكما يشرح الدكتور غاري هابرماس، فإنّ هذه التأكيدات «تحفظ البعض من الأخبار الأولى المتعلّقة بيسوع والتي يعود تاريخها إلى ما بين العام ٣٠ و ٥٠ ب.م. وبالتالي فإنّ العقائد تقوم فعلياً بحفظ المواد التي سبقت جمع العهد الجديد وتُعدّ المصادر الأولى التي نمتلكها عن حياة يسوع.»[٣٢] بمعنى آخر، لقد تمّ حفظ تلك الأقوال وتناقلها شفهيًّاً.»

قلب جمال صفحة دفتر ملاحظاته ونظر إلى الأسفل

٣٢. هابرماس، حكم التاريخ، ١١٩.

لبرهـة. «إنّ الأمثلـة عـلى هـذه التأكيـدات العقائديّـة الموجـودة في العهـد الجديـد والـتي يحدّدهـا كبـار العلمـاء مـن جامعـات أوكسـفورد وكامبريـدج وبرينسـتون تشـمل لوقـا ٢٤: ٣٤، ورومية ١: ٣-٤، ورومية ٤: ٢٤-٢٥، ورومية ١٠: ٩-١٠، ورسـالة تيموثـاوس الأولى ٣: ١٦، وفيليـبي ٢: ٦-١١، ورسـالة تيموثـاوس الثانيـة ٢: ٨، ورسـالة بطـرس الأولى ٣: ١٨، ورسـالة يوحنـا الأولى ٤: ٢، ورسـالة كورنثـوس الأولى ١١: ٢٣-٢٦.»

تابـع جمـال «تسـعون في المئـة مـن جميـع العلمـاء الذين نـشروا مؤلّفـات عـن القيامـة في السـنوات الثلاثـين الأخـيرة، بمـن فيهـم العلمـاء الأكـثر تحـرّرًا في معاهـد رابطـة آيفـي، يعترفـون بـأنّ التاريـخ الأوّل لكتابـة رسـالة كورنثـوس الأولى هـو بـين العـام ٥٣ و٥٧ ب.م.، كمـا يقـرّون بـأنّ بولـس الرسـول هـو الكاتـب الحقيقـي لتلـك الرسـالة. وقـد أشـار الدكتـور غـاري هابرمـاس الحائـز عـلى شـهادة الدكتـوراه مـن ولايـة ميشـيغان، إلى أنّـه عندمـا يتكلّـم بولـس عـن العشـاء

٣٣. «لأنّني تسلّمتُ من الرب ما سلّمتكم أيضًا أنّ الرب يسوع في الليلة التي أُسلِم فيها أخذ خبزًا وشكر فكسر وقال «خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكري.»» (١ كورنثوس ١١: ٢٣-٢٤).

الربّـاني في رسـالة كورنثـوس الأولى،[٣٣] فهـو يعـرض تقليـداً ثابتـاً يسـتند ربمـا إلى معلومـات مسـتقلّة عـن المصـادر الموجـودة في الأناجيـل الثلاثـة الأولى. ويذكـر جيريمايـاس أنّ تعابـير بولـس «تسَـلَّمتُ» و«سـلَّمتكُم» ليسـت مصطلحـات اسـتخدمها بولـس عـادةً بـل هـي تمثّـل «المصطلحـات الربّانيَّـة التقنيّـة» المسـتخدمة لتناقـل التقليـد. وفي الواقـع، يؤكّـد جيريمايـاس عـلى أنّ هـذه التعابـير تمّـت صياغتهـا «في بدايـة الفـترة الأولى، بالتأكيـد قبـل بولـس... إنَّهـا صيغـة سـابقة لبولـس.» ويشـير بولـس فعليـاً بكلامـه إلى أنَّ «سلسـلة هـذا التقليـد تـأتي مـن يسـوع نفسـه مـن دون أن تنكـسر.»[٣٤]

«مـن وجهـة نظـر تاريخيّـة بحتـة، يعـرف العلمـاء أنَّ بولـس يسـتخدم هنـا معلومـات متداولـة سـابقاً يُسـمّى البعـض منهـا بـ«قانـون الإيمـان» وهـي تسـبق زمنيـاً تاريـخ كتابـة رسـالته هـذه. لنركّز انتباهنـا الآن على إحـدى الاعترافات العقائديّـة الموجـودة في رسـالة كورنثـوس الأولى. «فإنّـني سـلَّمت إليكـم في الأوّل مـا قبلتـه أنـا أيضـاً أنَّ المسـيح مـات

٣٤. هابرماس، حكم التاريخ، ١٢١.

مـن أجـل خطايانـا حسـب الكتـب. وأنّـه دُفـن وأنّـه قـام في اليـوم الثالـث حسـب الكتـب. وأنّـه ظهـر لصفـا ثـم للإثـني عـشر».»[٣٥]

رفـع جمـال ناظريـه باتجـاه الدكتـور بيترسـون مـن ثـمّ باتجـاه الدكتـور هيتزفيلـد والدكتـور غوفـران قبـل أن تابـع قائـلاً «إنّ الأدلّـة الـتي تقـترح أنّ هـذه العقائـد كانـت موجـودة قبـل أن يؤمـن بولـس موجـودة في الآيـة ١١ حيـث كَتَـب بولـس أنّـه يذكـر مـا كان إعلانـاً مشـتركاً للرُسـل «فسـواء أنـا أم أولئـك هكـذا نكـرز وهكـذا آمنتـم.»[٣٦]

«حـضرات السـيّدات والسـادة، إنّ سرد هـذا المقطـع بالإضافـة إلى إنجيـل مرقـس الـذي ذكرتـه في ملاحظـاتي الافتتاحيّـة يفتقـران إلى التجميـل الأسـطوري للمعجـزات عـلى طريقـة هوميـروس وغـيره مـن الشـعراء القدامـى. فبعـد أن ذكـر بولـس الحقائـق العقائديَّـة، يمضي إلى الإشـارة إلى أسـماء معيّنـة لشـهود عيـان بمـن فيهـم يعقـوب أخـو المسـيح، الـذي لـم يكـن مؤمنـاً إلى أن رأى المسـيح

٣٥. ١ كورنثوس ١٥: ٣-٥

٣٦. ١ كورنثوس ١٥: ١١

القائـم مـن بـين الأمـوات. لمـاذا آمـن يعقـوب؟ بسـبب مـا رآه. مـن ثـمّ يضيـف بولـس أنَّ المسـيح ظهـر لأكـثر مـن ٥٠٠ مـن الإخـوة و«أكثرهـم بـاقٍ إلى الآن ولكـنَّ بعضهـم قـد رقـدوا». دعونـا الآن لا نفـوِّت فكـرة مهمَّـة، فـإنَّ بولـس يقدّم عقيـدة الإيمـان ويدافـع عنهـا ويتحـدّث عـن شـهادات شـهود عيـان مـن ثـمّ يذكِّـر السـامعين أنّ معظـم شـهود العيـان لا يزالـون أحيـاء. مـا الـذي يفعلـه هنـا؟ إنَّـه يضـع كلَّ سُـمعته عـلى المحـكّ بقولـه «إذا لـم تصدّقـوني تحقّقـوا مـن الأمـر مـع شـهود العيـان الخمسـمئة. فهـم سـيخبرونكم أنّهـم رأوا المسـيح القائـم مـن بـين الأمـوات». سـجِّلوا هـذه الملاحظـة إذ لـم يكـن بولـس يدعـو أتباعـه إلى الإيمـان بشـكل أعمـى بـل إلى إيمـانٍ يسـتند إلى حـدث تاريخـي، وهـو قيامـة المسـيح.

«والآن انتهى الوقت المخصّص لي.»

كان الدكتـور ويليـام بيترسـون صامتـاً وهـو يسـتمع إلى جمـال. بصفتـه المنسِّـق للمناظـرة، كان معتزمـاً عـلى عـدم الكشـف عـن أي مشـاعرٍ خـلال التقديـم ولكنَّـه داخليّـاً شـعر

بالسرور بمحاضرة جمال. كان الدكتور بيترسون قد رفض حقيقة القيامة لأكثر من خمس وثلاثين سنة، ولكنَّه أصبح مؤخّراً مقتنعاً سرّاً بحقيقتها التأسيسيّة. إنَّ البيانات الأولى التي ذكرها جمال هي التي أيقظت قناعاته منذ عدَّة أشهر وأكَّدت له أبحاثه الخاصّة أنّه لا يمكن استبعاد حقيقة قيامة المسيح. كما أنّ جميع الادعاءات الكاذبة التي تزعم أنّ «المسيح لم يمت يوماً على الصليب»، و«كان الرسل مصابين بالهلوسة»، و«الرسل سرقوا الجسد»، و«لم يُدفن المسيح يوماً» عجزت عن إقناعه فكرياً. كانت زوجة الدكتور بيترسون، سوزان، هي الشخص الوحيد الذي يعلم باعتناقه الإيمان المسيحي مؤخّراً. كما أنّه يعتزم إخبار طلاّبه بالأمر عندما تسنح الفرصة المناسبة لأنّه يشعر بخجل كبير في قلبه لخداعه الكثير من الطلاب السريعي التأثّر على مرِّ السنين وإبعادهم عن المسيح.

الفصل العاشر

الإلحاد وديفيد هيوم وإنكار المعجزات

تناول الدكتور بيترسون الميكروفون. «شكراً لك، سيّد واشنطن. والآن، أستاذ فرانك غوفران، لديك خمس عشرة دقيقة لدحض الحجج الدفاعيَّة التي قدَّمها جمال واشنطن عن القيامة.»

دخل غوفران مباشرةً في صلب الموضوع. «يا جمال، ربمَّا المراجع التي ذكرتها تقدِّم بالفعل شهادة مبكّرة جداً عن أناس زعموا أنّهم رأوا المسيح القائم من بين الأموات. سأوافق معك على هذه الحجّة وأقبل بها لكنَّها لن تقنعني بصفتي شخصاً متعلّماً بأنّ القيامة

قـد تمَّـت بالفعـل. مـا أرغـب في اقتراحـه هـو أنَّـه بِغـضِّ النظـر عـن مزاعـم معجـزات المسـيح وأتباعـه، وعـن الأدلّـة الـتي قدّمتهـا، فإنّـه مـن غـير المعقـول وغـير المنطقـيّ أيضـاً الإيمـان بـأنّ الله موجـود وبـأنّ يسـوع هـو الله، وقـد قـام مـن بـين الأمـوات.

أودُّ الآن الانتقـال إلى البرهـان الـذي قدَّمـه الفيلسـوف المشـهور ديفيـد هيـوم و الـذي لـم يتمكّـن أي مسـيحي أعرفـه مـن دحضـه بشـكل مناسـب. سـأقرأ مـن كتابـات ديفيـد هيـوم مـن ثـمّ سأشـارككم ببعـض التعليقـات:

«المعجـزة تخالـف قوانـين الطبيعـة، وبمـا أنّ تلـك القوانـين قـد ترسَّـخت بالتجربـة الثابتـة غـير القابلـة للتغيـير، فـإنّ الدليـل ضـدَّ المعجـزة، مـن حيـث طبيعتهـا بذاتهـا، هـو كامـل بقـدر مـا يمكـن أن يكـون البرهـان كامـل بالخـبرة... فـلا شيء يُعتـبر معجـزة إذا حصـل ضمـن السـياق العـادي للطبيعـة. ليسـت بمعجـزة أن يمـوت إنسـان بشـكل فجـائيّ مـع أنَّـه يبـدو

بصحّة جيّدة: لأنّ طريقة الموت هذه، مع أنّها غير اعتياديَّة أكثر من أي نوع آخر، تمّ تسجيل حصولها غالباً. لكنَّها معجزة أن يعود الميت إلى الحياة لأنّ هذا الأمر لم يُلاحظ أبداً في أيِّ عصر أو بلد. لذلك، لا بدّ من وجود نوع من التجربة الموحّدة التي تتعاكس مع كلّ حدث معجزيّ، وإلاّ فإنَّ ذلك الحدث لا يستحقّ تلك التسمية. وبما أنّ التجربة الموحّدة تُعدّ على أنّها إثبات، فإما نكون قد دمَّرنا دليلاً مباشراً وكاملاً، أو قمنا بجعل المعجزة قابلة للتصديق ولكن من خلال دليل عكسيٍّ يتفوّق على الأوَّل.»[٣٧]

«حضرة أساتذة الكليَّة والطلاّب والضيوف، الأمر الذي كشف عنه هيوم ببراعة هو أنّ الشخص الذي يؤمن بالله عليه أن يؤمن بوجود نظام طبيعي، إذ أنَّه من دون ذلك النظام لا يمكن أن توجد أي طريقة لتحديد الاستثناءات داخل ذلك النظام. ثمّ يذكِّر هيوم الشخص المسيحيّ

٣٧. ديفيد هيوم، استفسارات متعلقة بالفهم الإنساني وبمبادئ الأخلاق، الطبعة الثالثة. (أوكسفورد: دار نشر ذي كلارندون، ١٩٩٢)، ١٤٤ - ١٤٦، ١٤.

بوضوح بأنّ نسبة احتمال أن تكون مزاعم المسيحي مجرَّد مخالفات للقوانين الطبيعيَّة يجب أن تبقى دائماً أدنى بكثير من نسبة احتمال أن يكون الاستثناء قد حصل.[٣٨]

«حضرة الدكتور بيترسون والسيّد واشنطن، دعوني ألخّص حجّة هيوم أمام الحضور:

١. المعجزة هي في تعريفها حدث نادر الحدوث.
٢. القانون الطبيعي هو بتعريفه وصف لحدث عاديّ متكرِّر.
٣. إنّ الأدلّة على الأمور العاديّة تتجاوز دائماً الأدلّة على الأمور النادرة.
٤. يرتكز الحكماء دائماً في معتقداتهم على نسبة الأدلّة الأكبر.
٥. بالتالي، يجب على الأشخاص الحكماء ألاّ يؤمنوا أبداً بالمعجزات.[٣٩]

---

٣٨. رونالد هـ. ناش، الإيمان والمنطق (غراند رابيدس: زوندرفان، ١٩٨٨)، ٢٣٠.
٣٩. نورمان ل. جيسلر، المعجزات والعقل الحديث (غراند رابيدس: بيكر، ١٩٩٢)، ٢٧ - ٢٨

ربما قد يردّ المسيحيّون من بينكم قائلين «حتّى إذا قدَّم هيوم برهاناً فلسفيّاً جيداً ضدّ المعجزات، نحن لدينا إيمان بأنّ يسوع هو الله!» إذا اختار المسيحي أن يؤمن بالولادة من عذراء أو بالأفاعي المتكلّمة أو بقيامة يسوع، يبدو أنَّ الأساس الوحيد الذي يستند إليه في اعتقاداته هو «الإيمان».ولكن دعوني أوضِّح الأمر بشكل تام. الإيمان الأعمى ليس معرفة. ومع أنّه يجوز للشخص أن يقول إنّه صادق في ممارسة الإيمان الأعمى، لكنَّه يبقى غير صادقٍ من الناحية الفكريّة.

«لقد ألقى الفيلسوف الديني ويليام جيمس محاضرة يوماً تحت عنوان «إرادة الإيمان». ويبدو أنّه أثّر على الكثير من المسيحيّين الذين يرتادون الكنائس، لاسيَّما هنا في الجنوب حيث تظهر كنيسة كبيرة في كلّ زاوية. ظنّ جيمس أنّه من المقبول بالنسبة إلى المسيحيّين أن يخالفوا مبدأ الأدلّة طالما أنّ إيمانهم يعمل. وبمعنى آخر، قد لا تكون لدى المسيحي معرفة أو أدلّة على الحقيقة، ولكن طالما أنّ لديه إيمان بالله وتبدو عائلته سعيدة،

وزواجــه يتحسَّــن، وتبــدو علاقاتــه «صادقــة»، فالتحــلّي بالإيمــان أمــر مناســب.

«إنَّ جـدالي هنـا هـو أنّ الإيمـان الأعمـى الـذي يصفـه ويليـام جيمـس غـير منطقـيٍّ، وأنّـه مـا مـن حاجـة إلى هـذا الإيمـان الأعمـى. وإذا رغـب المسـيحيّون في أن يكونـوا صادقـين، فعليهـم أن يؤمنـوا بالأمـور العقلانيَّـة وأن يثقـوا بحواسـهم وبالعلـم وينكـروا هـذه الأعمـال الـتي تُسـمّى بالمعجـزات. ولكـم جزيـل الشـكر.»

الفصل الحادي عشر

إمكانيّة حصول المعجزات

عـاد الدكتـور بيترسـون إلى المنصّـة. «لـدى السـيِّد واشـنطن الآن خمسـة عـشر دقيقـة للـردّ عـلى الدكتـور فرانـك غوفـران.»

قـال جمـال «دكتـور غوفـران، لقـد دحـض الكثـير مـن الفلاسـفة المسـيحيّون هيـوم. دعـني أقتبـس مـن الدكتـور نورمـان غيزلـر الحائـز عـلى شـهادة الدكتـوراه في الفلسـفة مـن جامعـة لويـولا. وقـد أشـار إلى أنّـه حـين يتكلّـم هيـوم عـن التجربـة «الموحّـدة» في حجّتـه، فـإنَّ مفهومـه هـذا

هـو إمّـا اسـتدلال دائـري مغالـط إمّـا كنايـة عـن تعميـم للإسـتثناء. إنّـه اسـتدلال دائـري إذا كان هيـوم يفـترض الاسـتنتاجات مسـبقاً قبـل دراسـة الأدلّـة. لأنَّه كيـف يمكننا أن نعـرف أنَّ جميـع التجـارب الممكنـة سـتؤكّد نظريـة المذهـب الطبيعـي، إلاّ إذا كانـت لدينـا إمكانيَّـة الوصـول إلى جميـع التجـارب المحتملـة في المـاضي والحـاضر والمسـتقبل؟ أمّـا مـن جهـة أخـرى، إذا كان هيـوم يعـني بالتجربـة «الموحّـدة» بعـض التجـارب المختـارة لبعـض الأشـخاص الذيـن لـم يصـدف أن رأوا يومـاً حصـول معجـزة، فـإنَّ مفهومـه يكـون تعميمـاً للإسـتثناء.»[٤٠]

تابـع جمـال «يُضيـف الدكتـور غيزلـر أنَّ هيـوم لا يقـوم بـوزن صحَّـة الأدلّـة عـلى المعجـزات بـل يعاكسـها بمضاعفـة الأدلّـة ضدَّهـا. فمثـلاً، بمـا أنّ المـوت يحصـل مـرَّة تلـو الأخـرى والقيامـة لا تحصـل إلاّ في حـالات نـادرة إذا حصلـت، يقـوم هيـوم ببسـاطة بجمـع مجمـوع الوفيـات ويقارنـه بالتعـارض مـع حـالات القيامـة القليلـة جـداً رافضـاً هـذه الأخـيرة. لكـنَّ هـذا لا يتضمَّـن وزن الأدلّـة مـن أجـل

٤٠. المرجع نفسه.

تحديد ما إذا كان الشخص المعني، لنَقُل يسوع الناصري، قد قام من الموت أم لا. وهذا ببساطة كناية عن جمع عدد الوقائع في جميع المناسبات الأخرى التي لم يقم فيها أحد من الموت واستخدامه لسحق أي دليل ممكن عن شخص مات ثمَّ أُعيد إلى الحياة.

«بالإضافة إلى ذلك، فإنَّ الحجَّة التي يقدّمها تعادل بين كميّة الأدلّة والأرجحيّة. إنَّه يقول، في الواقع، أنّه ينبغي علينا دائماً تصديق ما يُحتمل حصوله أكثر (بمعنى «اختيار أعلى نسبة احتمالات»). لكنَّ هذا تصرّف سخيف. فعلى هذا الأساس، لن يصدّق أيُّ شخص حكيم أنَّ أحد لاعبي الغولف قد أصاب الحفرة الصحيحة من الضربة الأولى بما أنّ جميع الاحتمالات تشير ضدَّ ذلك. يبدو أنَّ ما يغفل عنه هيوم هو أنّ الأشخاص الحكماء يستندون في إيمانهم إلى حقائق، وليس مجرّد احتمالات. في بعض الأحيان تكون نسبة «الاحتمالات» التي تنفي حصول حدث ما مرتفعة بالإستناد إلى تحليلات ماضية، ولكن الأدلّة التي تثبت حصول الحدث تكون جيّدة جداً

إستناداً إلى الملاحظة الحاليّة أو إلى شهادة موثوق منها.

يـا دكتـور غوفـران إنَّ حجّـة ديفيـد هيـوم تخلـط بـين كميّـة الأدلّـة ونوعيّتهـا. إذ يجـب وزن الأدلّـة لا جمعهـا.»[٤١]

ابتسـم جمـال ونظـر إلى الدكتـور بيترسـون والبعـض مـن أسـاتذة الكليَّـة الجالسـين في الصـفّ الأمامـي. «بعـد التفكـير في الأمـر، حـين ذهبنـا أنـا والدكتـور بيترسـون للعـب الغولـف مـع الدكتـور تشـايس هيندريتـش في الربيـع المـاضي، أصـاب الدكتـور هيندريتـش حفـرة بضربـة واحـدة! هـل تصدِّقـون ذلـك؟»

فصـاح اثنـان مـن زمـلاء الدكتـور هيندريتـش في الصـفّ الأمامـي «لا!». فضحـك الحضـور بينمـا أشـار عـدّة منهـم إلى الدكتـور تشـايس هيندريتـش الجالـس في الصـفّ الأمامـي، وصـاح أحـد الطـلاّب «هيّـا دكتـور تشـايس!»

تابـع جمـال «صدّقـني دكتـور غوفران، لو كنـتَ تعرف عن

٤١. جيسـلر، المعجـزات والعقـل الحديـث، اقتبسـه ر. دوغـلاس غيفيـت وغـاري هابرمـاس (داونـرز غـروف، إيلينـوي: دار نـشر إنتيرفارسـيتي، ١٩٩٧)، ٧٨-٧٩.

مقدرة الدكتور هيندريتش في لعب الغولف لكنتَ شكّكت في حصول ذلك أيضاً. ولكن كان هنالك شاهدا عيان، وعلى الرغم من تجربة الدكتور هيندريتش السابقة في لعب الغولف، فأنا والدكتور بيترسون نعرف أنّه بالفعل قد أصاب الحفرة بضربة واحدة. والآن بالعودة إلى هيوم، فهو يخلط ما بين أرجحيّة الأحداث التاريخيّة والطريقة التي يستخدم فيها العلماء الأرجحيّة من أجل صياغة القوانين العلميَّة. دعوني أقرأ شيئاً من مؤلّفات الدكتور رونالد ناش الحائز على شهادة الدكتوراه من سيراكروز.

«لقد اشتكى نقّاد هيوم من أنَّ حجّته تستند إلى وجهة نظر مغالطة بشأن الأرجحيّة. أوّلاً، إنَّ هيوم يتعامل مع أرجحيّة الأحداث التاريخيَّة كالمعجزات مثلاً بالطريقة نفسها التي يتعامل فيها مع أرجحيّة الأحداث المتكرّرة التي تؤدّي بارتفاعها إلى صياغة القوانين العلميّة. في حالة القوانين العلميّة، ترتبط الأرجحيّة بعدد المرّات التي يحصل فيها الحدث. وكلّما زاد عدد المرّات التي يلاحظ فيها العلماء

حصـول أحـداث مشـابهة في ظـروف مشـابهة، زادت أرجحيّـة أن تكـون صياغتهـم للقانـون صحيحـة. لكـنّ الأحـداث التاريخيّـة ومنهـا المعجـزات تختلـف عـن ذلـك فـإنّ أحـداث التاريـخ فريـدة مـن نوعهـا ولا تتكـرّر. وبالتـالي، فالتعامـل مـع الأحـداث التاريخيّـة بمـا فيهـا المعجـزات، مـن خـلال مفهـوم الأرجحيّـة نفسـه الـذي يلجـأ إليـه العالـم لصياغـة قانونـه، يُظهـر عـن تجاهـل لأحـد الاختلافـات الأساسـيّة بـين المجالـين.»[٤٢]

«وأخـيراً، في مـا يتعلّـق بإشـارتك إلى «إرادة الإيمـان» الـتي تكلَّـم عنهـا ويليـام جيمـس، فنقطـة جـدالي هـي أنَّ مـا يتطلّـب إرادة أكـثر هـو عـدم الإيمـان. إذ ينبغـي ايجـاد تفسـير للوثائـق الأولى عـن مـوت المسـيح الممكـن التحقّـق منهـا تاريخيـاً والـتي عرضتهـا باسـتخدام المصطلحـات العقائديّـة في رسـالة كورنثـوس الأولى ١٥ وإنجيـل مرقـس، ولانعـدام التفخيـم في الـسَّرد، ولشـهادات كثـيرة لشـهود عيـان. وبالإضافـة إلى ذلـك، عـلى المـرء تفسـير التغيـير الـذي طـرأ عـلى حيـاة الرسـل.

٤٢. ناش، الإيمان والمنطق، ٢٣٤.

«وبالعجـز عـن تقديـم إجابـة بشـأن الأدلّـة التاريخيّـة عـلى قيامـة المسـيح وإمكانيّـة حصـول المعجـزات تكـون قـد تجنّبـت الأدلّـة التاريخيّـة عـلى قيامـة المسـيح و «أردت الإيمـان» في إنـكار المعجـزات.»

توقّـف جمـال قليـلاً ليقـرأ بضعـة ملاحظـات كان قـد أخذهـا خـلال محـاضرة دكتـور غوفـران. « لقـد قُلـتَ في بداية الدحـض الـذي قمـت بـه يـا دكتـور غوفـران «ربمَّـا المراجـع الـتي ذكرتهـا تقـدِّم بالفعـل شـهادة مبكّـرة جـداً عـن أنـاس زعمـوا أنّهـم رأوا المسـيح القائـم مـن بـين الأمـوات. سـأوافق معـك عـلى هـذه الحجّـة وأقبـل بهـا لكنَّهـا لـن تقنعـني بصفـتي شـخصاً متعلّمـاً بـأنّ القيامـة قـد تمَّـت بالفعـل». مـن ثـمّ أضفـت «مـا أرغـب في اقتراحـه هـو أنَّـه بِغـضِّ النظـر عـن مزاعـم معجـزات المسـيح وأتباعـه، وعـن الأدلّـة الـتي قدّمتهـا، فإنّـه مـن غـير المعقـول وغـير المنطقـيّ أيضـاً الإيمـان بـأنّ الله موجـود وبـأنّ يسـوع هـو الله، وقـد قـام مـن بـين الأمـوات.»

يبـدو أنّ ملاحظاتـك تشـير إلى تحـيّز ضـدّ الأمـور الخارقة

للطبيعة بدلاً من إرادة للتحقيق في الأدلّة بعناية. هذه ليست إذاً دراسة تاريخيّة منفتحة على الأدلّة بل هي «إرادة الإيمان» بعدم وجود الله أو المعجزات أو القيامة. شكراً لكم على وقتكم.»

بينما كان جمال يعود إلى مقعده، بدأ الحضور يصفّق بحماس.

نظرت أندريا إلى لورين وسكوت وبريت نظرة سريعة. لم يكونوا يصفّقون، ومع أنّ أندريا لم ترغب في الاعتراف بذلك، فهي شعرت أنّ حجج جمال دحضت بلاغة خصميه. وللحظة واحدة فكّرت في نفسها إذا كان ما يقوله صحيحاً.

أمّا الدكتور بيترسون فقد حافظ على حياده بصفته منسِّق المناظرة. قام بإسكات الحضور وفتح مجالاً لأسئلة إضافيّة من لجنة الأساتذة وعدّة طلاّب من الحضور. وكان هو أيضاً يدرس الأدلّة على القيامة التاريخيّة. من ثمّ شكر المقدّمين وأعلن عن الحدث التالي

في السلسة وشكر كلّ من حضر المناظرة.

بعد ذلك، رأت مينا وجيسيكا أنَّ أندريا تقف في الخلف فتوجّهتا نحوها. قالت مينا بتعجّب «يسرّني جداً أن أراكِ يا أندريا!» ورمت بذراعيها نحوها لتعانقها معانقة كبيرة مثل الأيام الماضية. ومع أنّ أندريا حاولت أن تتصرّف ببرودة وتحفّظ، إلا أنَّها وجدت نفسها تفلت ابتسامةً. فلقد كانت مسرورة بوجود مينا وجيسيكا هناك.

في هذه الأثناء، توجّه نيك نحو سكوت ولورين وبريت. فقال بريت «مرحباً نيك، أنا قد لا أتّفق مع جمال، ولكن عليّ الاعتراف بأنّه فاز في هذه المناظرة.»

ردّت لورين «كلا لم يفز.»

فنظر إليها بريت قائلاً «أنا أخالفك الرأي يا لورين. فإنَّ جمال جعل فرانك غوفران يبدو أنَّه هو من يتجنّب الأدلّة ولديه "إرادة الإيمان".»

فنظرت لورين إلى سكوت «من فاز برأيك؟»

«حسـنًا، لطالمـا أعجبـني الدكتـور يورغـن هيتزفيلـد، لكـنّ دفـاع جمـال عـن اسـتخدام بولـس للمصطلحـات العقائديّـة الأولى وشـهادات شـهود العيـان عـلى القيامـة كان مقنعـاً جـداً مـن وجهـة نظـر تاريخيّـة. وأنـا بـكلّ صـدق أجهـل كيفيّـة تقبُّـل الأمـر، ولكنّـه لا تـزال لـديّ أسـئلة عـن الأخلاقيّـات في العهـد القديـم ومشـكلة الـشرّ. قـد يكـون جمـال قـد فـاز في المناظـرة، لكنّـني لا زلـت سـأبقى لاأدريـاً».

فنظـر نيـك إلى سـكوت «ظننـتُ أنّـك كنـتَ ملحـداً، لا محايـداً لاأدريـاً.»

فـردّ سـكوت مبتسـماً وهـو يوجّـه نظـره بعيـداً «أنـا كلاهمـا.»

الفصل الثاني عشر

فصل جديد لآل بيترسون

قالت سوزان بيترسون «يا حبيبي، لقد قمتَ بعمل استثنائي كمنسِّق للمناظرة.»

ردّ الأستاذ وهو يخلع معطفه ويزيل ربطة عنقه «شكراً لكِ يا سوزان.»

فسألته سوزان وهي تناوله كاسةً صغيرة من بوظة بلوباني «هل أخبرت جمال أو نيك عن إيمانك الجديد؟»

«لا، ليس بعد، لم أخبر أحداً غيرك.»

«ولِمَ لا؟»

لم يُجب الدكتور بيترسون.

«لـم تخـبر أحـداً غـيري؟ لقـد مـضى أكـثر مـن شـهر عـلى صلاتـك للقبـول بالمسـيح مخلّصاً.»

«لــم يكــن الوقــت مناســباً. أردتُ أن أخــبر القسّــيس غريـغ يـوم الأحـد الفائـت، لكنّـه بـدا منشـغلاً وببسـاطة لـم تسـنح لي فرصـةً مناسـبة.»

«آمـل يـا بيـل ألاّ تكـون متخوّفـاً مـن ردّة فعـل عنيفـة. أظـنّ أنّـه مـن الجيِّـد أن تخـبر أصدقـاءَك بالأمـر قريبـاً. أنـت تعـرف أنّ جمـال ونيـك سيتحمّسـان للأمـر، ومـع أنّ البعـض مـن زملائـك قـد يتسـبّبون لـك بمشـاكل، فإنّهـم سيسـتمرون باحترامـك. والأهـمّ مـن ذلـك هـو أنَّ الله سـيكرمك. تذكّـر تعاليـم المسـيح «كلّ مـن يعـترف بي قـدام النـاس أعـترف أنـا أيضـاً بـه قـدّام أبي الـذي في السـماوات. ولكـن مـن ينكـرني قـدّام النـاس أنكـره أنـا أيضاً قـدّام أبي الـذي في السـماوات.»[٤٣]

٤٣. متّى ١٠: ٣٢-٣٣.

لقد درّست يا بيل نظرةً خاطئة عن المسيح لمدّة طويلة جداً، أظنّ أنّه عليك أن تبدأ بإخبار الجميع عن إيمانك، وأن تعترف باتّضاع بأنّك كنت مخطئاً في البعض من تعاليمك. ولماذا لا تبدأ بالإعلان عن المسيح التاريخيّ الحقيقيّ؟»

قال الدكتور بيترسون «أنت على حقّ تماماً يا سوزان». توقّف قليلاً ليسكب المزيد من البوظة لكليهما، ثمّ تابع قائلاً «لم أرد أن ينتشر الخبر قبل الليلة، فبصفتي المنسِّق للمناظرة، لم أرد أن يتحوّل الانتباه إليّ. كما أنّني لم أرد أن يظنّ الحضور أنّني متحيّز، ولكنّني فكَّرتُ في أنّه عندما يحين الوقت المناسب سأخبر جميع أساتذة الكليَّة والطلاّب عن التغيير الذي حصل في تفكيري حيال المسيح. وفي الواقع، لقد فكّرت ملياً في حجز قاعة ويسلي للمحاضرات لإلقاء محاضرة حول موضوع «هل زعم يسوع أنّه الله؟» أنا لا أستحي بإنجيل يسوع المسيح وأظنّ أنّ هذه الخطوة ستعطيني الفرصة المناسبة للدفاع عنه.»

رمت سوزان بذراعيها حول زوجها وعانقته قائلةً «أنا أؤمن بك يا عزيزي. الله سيستخدم شهادتك.»

«أنا أعرف أنّ النقّاد سيهاجمونني ولكنّني أستحقّ ذلك لشدّة عنادي ولخداعي عقول الكثير من الشباب على مرّ السنوات. ليرحمني الله.»

«إذا تمكّن الله يا بيل من استخدام شاول الطرسوسي الذي اضطهد الكنيسة المسيحيّة، ليكتب أجزاء كبيرة من العهد الجديد، فأنا على ثقة بأنّه سيعطيك الحكمة للتأثير في جامعة أوبال.»

الفصل الثالث عشر

نيك وجيسيكا

تناولت جيسيكا هاتفها. «آلو؟»

«مرحباً جيسيكا، هذا أنا، نيك.»

«أهلاً نيك.»

«أعـرف أنّـك قلـتِ لي خـلال الصيفـي إنّـك لا تريديـن الخـروج معـي، ولكـني كنـتُ أتسـاءل عمّـا إذا كان بالإمـكان أن تغـيّري رأيـك لفـترة طويلـة بمـا يكفـي لمرافقـتي يـوم الجمعـة لتنـاول العشـاء؟»

«ممـم، حسـناً، طبعـاً! يبـدو ذلـك

ممتعاً.»

«عظيـم! فكّـرتُ أنّـه بإمكاننـا الذهـاب إلى فـورت وورث لتنـاول أكل مكسـيكيّ ومـن ثـمّ الذهـاب للرقـص الريفـيّ لـدى بيـلي بـوب. ففرقـة زاك بـراون تعـزف في الخـارج ولـديّ تذكرتـين. أيبـدو ذلـك مسـلياً؟»

«آه أجل، يبدو ذلك رائعاً!»

بعـد ثـلاث ليـالٍ وبينمـا كان نيـك وجيسـيكا متّجهـين مـن دالاس إلى فـورت وورث، سـأل نيـك جيسـيكا «كيـف كان النقـاش مـع الفتيـات بعـد اجتمـاع دراسـة الكتـاب المقـدّس «أنـا ثانيـاً» ليلـة أمـس؟»

«كان جيّـدًا جـداً، ولكـن عندمـا ابتـدأتُ بقـراءة مقطع من الكتـاب المقـدّس، قالـت إحـدى الفتيـات بصـوت مرتفـع «أنا لا أحـبّ النقـاش في الأمـور الدينيّـة، ولاسـيما عـن يسـوع.» فـكان ردّي الأوّل «حسـناً، ولمـاذا جئـتِ إذاً إلى اجتمـاع دراسـة الكتـاب المقـدّس؟» قالـت إنّهـا معجبـة كبـيرة بـآن رايـس، وهـي كاتبـة روائيّـة عـن مصّـاصي الدمـاء، وسـمعت أنّنـا نعـرض فيلمهـا.

سألتها عن رأيها بالفيلم لكن لم تقل الكثير. هل تذكر العام الماضي يا نيك حين كنّا نتواعد وقبل أن أضع ثقتي بيسوع، كيف كنتُ أحاول دائماً تغيير الموضوع عندما كنت تأتي على ذكره؟ هلاّ تسامحني على ذلك من فضلك؟»

«لقد سبق أن سامحتك يا جيسيكا، سبق وتكلّمنا بهذا الموضوع.»

«شكراً لك. أتعرف شيئاً؟ يبدو أنَّ مجرّد ذكر اسم يسوع يُزعج الناس ويجعلهم غير مرتاحين أو غاضبين أو الاثنين معاً. فكثيرات هنّ الفتيات اللواتي يحاولن تغيير الموضوع عندما يتمُّ ذكره. يبدو أنّه يمكنك التكلّم عن بوذا أو محمَّد أو كونفوشيوس طوال اليوم ولن يستاء الناس، ولكن اذكر اسم يسوع مرّة واحدة وسينتهي النقاش. لماذا لا يُعتبر الآخرون مصدر ازعاج للناس مثل يسوع؟»

فكَّر نيك في المسألة للحظات. «أظنُّ أنّ السبب وراء

ذلك هو أنّ أولئك القادة الدينيون لم يزعموا أنّهم الله. هذا هو الاختلاف الكبير بين يسوع والآخرين. فيسوع قد قدَّم إدعاءات مذهلة عن نفسه وأصبح من الواضح أنّ تلك الادعاءات عرّفت عنه بأنّه أكثر من مجرَّد نبي ومعلّمٍ. بالحديث عن ذلك، هل سمعتِ بالخَبر من الدكتور بيترسون؟»

«أيّ خبر؟»

«لقد أصبح مسيحياً».

«ماذا؟!» لم تستطع جيسيكا تصديق ما سمعته فهي كانت تصلّي له كلّ يوم تقريباً.

«أجل، لقد آمن بالمسيح منذ حوالى شهر.»

«هل تمزح معي يا نيك؟ هذا خبر مشوّق للغاية!» بدأت عينا جيسيكا تدمعان. «لم تكن لديّ أدنى فكرة عن الموضوع.»

«افترضتُ أنّك تعرفين بالأمر يا جيس! لقد أرسلَ

رسالة إلكترونيَّة صباح اليوم وأعلن فيها عن اعتناقه المسيحيّة. سوف يلقي محاضرة خاصّة بعد ثلاثة أسابيع حول ألوهيّة المسيح. لا أصدِّق أنّك لم تسمعي بالخبر. كلّ طالب في الكليَّة الدينيَّة كان يتكلّم بالأمر اليوم.»

«هل تكلّمتَ معه؟»

«لا، ليس بعد. لقد قصدتُ مكتبه ولكنّ سكرتيرته قالت إنّه وجمال أخذا اليوم عطلة من أجل لعب الغولف. لم أتكلّم مع أحد منهما.»

«يا لهذه الاستجابة للصلاة! أنا أراهن أنَّ جرأتك في مشاركة الإنجيل معه في تلك الليلة التي كنّا فيها في منزله قد أثّرت فيه.»

«أشكُّ بذلك! كلّ ما أذكره من تلك الليلة هو أنني شعرت بالندم لأنّي وعظته. أظنَّ أنّ تأثير جمال كان أكبر، ولكن قبل أيِّ شيء أنا أشكر الله على أنّ الدكتور بيترسون قد عرف المسيح. ففي نهاية الأمر، إنَّ الروح القدس هو من يسعى لبناء علاقة معنا.»

«صحيح أنَّ الله هو وحده من يُخلِّص، لكنّ الله قد استخدمك بكلّ تأكيد ليجعلني أنا آخذ خطوة الإيمان.»

ابتسم نيك ومدّ يده ليضغط على يد جيسيكا. «وأنتِ بكلِّ تأكيد قد تغيّرتِ.»

ضحكت جيسيكا «وأنتَ أيضاً.»

«أجل، قبل أن تصبحي مسيحيّة يا جيسيكا كنتِ وقحة ومتكبَّرة و...»

«هاي!» لطمت جيسيكا ذراع نيك. «أنظر إلى ابتسامتك البلهاء يا نيك! أنا أسترجعُ ما قلتُهُ، أنتَ لم تتغيّر البتّة!»

تابع نيك «لكن بجديّة يا جيسيكا، إنَّ الله يصنع أموراً عظيمة من خلالِك. فأنتِ تتحلّين بالكثير من التعاطف في عملك الإنسانيّ مع أولئك الأولاد، وتقودين الفتيات إلى المسيح وتتطوّعين للخدمة في المأوى. أنتِ كنسخة جميلة عن الأمّ تيريزا!»

«لن يقودك الكلام المعسول إلى أيّ مكان!» ضغطت

جيسيكا على ذراع نيك.

قال نيك «وأُضيف أنَّه مع أنّك تتحلّين ببعض الصفات الجيّدة غير أنّني لست متأكّداً من قدرتك على مجاراتي في الرقصة الريفيَّة الليلة!» فضحك الاثنان. كان نيك راقصاً سيّئاً للغاية.

الفصل الرابع عشر

ألوهيّة المسيح في إنجيل مرقس

صباح يوم الاثنين كان جميع الطلاّب في صف جمال عن مقدّمة العهد الجديد متشوّقين للتحدّث عن خبر الأستاذ ويليام بيترسون الذي تاب وآمن بالمسيح وعن محاضرته القادمة. لكن لم يقضِ جمال إلاّ بضعة دقائق في الكلام عن الأمر من ثمّ غاص في محاضرته.

«من الغباء التام أن يقول النقّاد إنَّ إنجيل مرقس لا يؤكّد على ألوهيّة المسيح لأنّه الأقدم في الأناجيل الأربعة. في الإصحاح الثاني نرى يسوع

يفعـل أمـراً لا يمكـن أن يفعلـه أحـد إلا الله، وهـو غفـران الخطايـا. دعـوني أقـرأ لكـم هـذا المقطـع. «فلمّـا رأى يسـوع إيمانهـم قـال للمفلـوج: "يـا بـني مغفـورة لـك خطايـاك".»[٤٤]

توقّـف جمـال قليـلاً «أعـرف مـا قـد يفكّـر فيـه البعـض منكـم «هـذا ليـس أمـراً مهمـاً، فهـو لا يزعـم أنّـه الله.» ولكـن راقبـوا مـا حصـل عـن كثـب. وفقـاً للّاهـوت اليهـودي، لا أحـد غـير الله يمكنـه إعـلان أمـر كهـذا. غفـران الخطايـا كان امتيـازًا يتمتّـع بـه الله وحـده.[٤٥] وعندمـا سـمع الكتبـة يسـوع وهـو يغفـر خطايـا ذلـك الرجـل انتابهـم السـخط. «مـاذا يقـول؟ هـذا تجديـف! الله وحـده يسـتطيع أن يغفـر الخطايـا!»[٤٦]

«هـل تـرون جيـداً أيّهـا الطـلاّب مـا يحصـل؟ عندمـا سـمع القـادة الدينيّـون يسـوع وهـو يغفـر الخطايـا اتّهمـوه بالتجديـف. انظـروا إلى شريحـة العـرض التاليـة. لقـد كتـب الدكتـور لويـس سـبيري شـايفر، مؤسـس كليّـة اللاهـوت في

٤٤. مرقس٢: ٥ ؛ أنظر أيضًا لوقا ٧: ٤٨-٥٠.
٤٥. إشعياء ٤٣: ٢٥.
٤٦. مرقس ٢: ٧

دالاس ورئيسها الأوّل»:

> لا يتمتّع أي شخص على الأرض بالسلطان أو الحقّ في غفران الخطايا. ولا يمكن لأحد أن يغفر الخطايا إلاّ الشخص الذي ارتُكبت جميع الخطايا بحقِّه. وعندما غفر المسيح الخطايا، وهو قد فعل ذلك بالفعل، لم يكن يمارس سلطاناً أرضياً. بما أنّه لا يمكن لأحد أن يغفر الخطايا سوى الله، وبما أنَّ المسيح قد غفر الخطايا، يتمُّ الإثبات إذًا بشكل قاطع أنَّ المسيح هو الله.[٤٧]

رفع نيك يده.

«نعم نيك؟»

«حسناً، أنا مقتنع بإعلانات المسيح عن ألوهيَّته في إنجيل يوحنا، مثلاً حين سمّى نفسه «أنا هو» أي بالاسم الذي أعلن فيه الله عن نفسه لموسى. لكنّني لستُ مقتنعاً

٤٧. لويس سبيري شافر، اللاهوت النظامي (طباعة كليّة اللاهوت في دالاس، ١٩٤٧)، ٥: ٢١.

جداً بهذا الادعاء في إنجيل مرقس. يبدو أنّ هذا المرجع الذي قدَّمته فيه نوع من المبالغة في التفسير. إذ يمكنني أن أغفر للناس من دون أن أزعم أنّني أنا الله. الكلّ يفعل ذلك طوال الوقت. حتّى عندما اعتبرت نفسي لاأدرياً، كنت أغفر للناس.»

«أجل يا نيك! نعم، يمكن للمرء القول «أنا أسامحك» ولكن فقط إن كان هو الشخص الذي ارتُكبت الخطيئة بحقِّه. لنقل يا نيك أنّك أخطأت تجاهي. كنّا سويّة في الملعب وأنا استمرّيت في التصدّي لرمياتك فنعتَّني بعبارات مهينة في حمأة اللحظة. يحقّ لي أن أغفر لك. ولكن إذا أخطأت تجاه شخص آخر، لنقل أخيك الأكبر، فأنا لا أتمتّع عندها بهذا الحقّ. لم يكن المشلول في مرقس ٢ قد أخطأ تجاه الإنسان يسوع. فالرجلان لم يلتقيا من قبل. لقد أخطأ المشلول تجاه الله. عندما أتى يسوع وبسلطانه الخاصّ قال: «مغفورة لك خطاياك» كان يتكلّم كما لو أنّه هو الله. يمكننا غفران الخطايا المُرتبكة بحقِّنا، ولكن لا يمكن لأحد غفران الخطايا المُرتكبة تجاه الله... إلاّ إذا كان هو الله.»

تابع جمال «لا عجب أنّ ردّة فعل اليهود كانت عنيفة جداً عندما قام نجّار من الناصرة بادعاء جريء كهذا. إنَّ تأكيده هذا بأنّه قادر على غفران الخطايا كان تطبيقاً مفاجئاً لسلطانٍ يعود لله وحده.

«نعم، إميلي؟»

«يبدو أنَّ هذه إشارة وحيدة. أتوجد مراجع أخرى تشير لادعاءات جريئة قام بها المسيح في إنجيل مرقس؟»

«بكلّ تأكيد يا إميلي، لِمَ لا تقرئين لنا من سفر دانيال، الفصل السابع، الآيتين الثالثة عشر والرابعة عشر. أودّ تفسير عبارة «ابن الانسان».»

بينما كانت إميلي تبحث عن المقطع وبدأت تقرأه، وضع جمال الآيات على الشاشة ليتمكّن الصفّ كلّه من رؤيتها:

> َشَاهَدْتُ أَيْضاً فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا بِمِثْلِ ابْنِ الإِنْسَانِ مُقْبِلاً عَلَى سَحَابٍ حَتَّى بَلَغَ الأَزَلِيَّ فَقَرَّبُوهُ مِنْهُ.

فَأُعْطِيَ سُلْطَاناً وَمَجْداً وَمَلَكُوتاً لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ لاَ يَفْنَى، وَمُلْكُهُ لاَ يَنْقَرِضُ. (دانيال ٧: ١٣-١٤)

«شكراً لك يا إميلي. الآن نرى أنّ الكتاب المقدّس واضح في أنّ الله وحده يستحقّ كلّ عبادة، أليس كذلك يا إميلي؟»

«أين يقول الكتاب المقدّس أنّ الله وحده يستحقّ العبادة؟ ألم يقبل يسوع العبادة؟»

«نعم، لقد فَعَل ذلك، وكَونَهُ قد قبِل العبادة يؤكّد لنا على ألوهيّته. كمرجعٍ للأمر، يقول يسوع لإبليس في متى ٤: ١٠ «للربّ إلهك تسجد وإيّاه وحده تعبد.» وهو في الواقع يقتبس من سفر التثنية ٦: ١٣ وهو مقطع في العهد القديم معروف جداً لدى اليهود.[٤٨]

والآن لنعود إلى «ابن الانسان» الذي قرأت عنه إميلي في سفر دانيال. الكتاب المقدّس واضح في قوله بأنّ الله

٤٨. متّى ٤: ١٠

وحـده يسـتحقّ العبـادة، غـير أنَّ دانيـال يـرى رؤيـة عـن «ابـن الانسـان» هـذا الـذي يَقبَـلُ العبـادة. تجـدر الإشـارة إلى أنّ دانيـال يتكلّـم عـن انسـان سـتتم عبادتَـه، مـع أنّ الكتـاب المقـدّس كان قـد تكلّـم عـن عبـادة الله وحـده. إذاً عـلى الرغـم مـن الفهـم الخاطـئ الشـائع، فـإنّ عبـارة «ابـن الانسـان» لـم تكـن إشـارة إلى انسـانيّة يسـوع، بـل إلى ألوهيّتـه. دعـوني أنقـل إليكـم أقـوال مقتبسـة مـن كاتبـين علميّـين اسـمهما كوموزيسـكي وبومـان ويفسّران رؤيـة دانيـال:

في رؤيـة دانيـال، يتحلّى الشـخص الظاهـر في صـورة إنسـان بكامـل السـلطان للدينونـة وهـو يحكـم عـلى مملكـة أزليّـة. يوجـد غيـاب لفكـرة الضَّعـف والتبعيّـة. كمـا أنّ وصـف الشـخص عـلى أنّـه يـأتي في السَّـحاب يعرّفنـا أيضـاً بأنّـه إلَـهٌ بمـا أنّـه في أماكـن أخـرى في العهـد القديـم تُسـتعمل صـورة المجـيء في السَّـحاب حصريـاً للشـخصيات الإلهيّـة.[٤٩]

٤٩. روبـرت م. بومـان و ج. إد كوموسزيوسـكي، وضـع يسـوع في مكانـه: إثبـات ألوهيّـة المسـيح (غرانـد رابيـدس: كريغيـل، ٢٠٠٧)، ٢٤٦ – ٤٧.

«نـرى يسـوع يشـير إلى هـذا المقطـع بالتحديـد في مرقس ١٤. دعونـا نلقـي نظـرة عـلى ذلـك. هـل يمكنـك أن تقـرأ لنـا يـا نيك مـن مرقـس ١٤: ٦٠-٦٤؟»

فتـح نيـك كتـاب العهـد الجديـد الخـاصّ بـه وبـدأ بالقـراءة:

«فقـام رئيـس الكهنـة في الوسـط وسـأل يسـوع: «أمـا تجيـب بـشيء؟ مـاذا يشـهد بـه هـؤلاء عليـك؟» أمّـا هـو فـكان سـاكتًا ولـم يجـب بـشيء. فسـأله رئيـس الكهنـة أيضًـا: «أأنـت المسـيح ابـن المبـارك؟»

فقـال يسـوع: «أنـا هـو. وسـوف تبـصرون ابـن الانسـان جالسـاً عن يمين القوة وآتياً في سـحاب السـماء.»

فمـزّق رئيـس الكهنـة ثيابـه وقـال: «مـا حاجتنـا بعـد الى شـهود؟ قـد سـمعتم التجاديـف! مـا رأيكـم؟»

فالجميع حكموا عليه أنّه مستوجب الموت.»[٥٠]

٥٠. مرقس ١٤: ٦١-٦٤، مع إضافة التشديد.

فسأل جمال «لماذا حكموا عليه أنّه مستوجب الموت؟»

أجاب طالب يُدعى جون من الصف الخلفيّ «كان يسوع يدّعي بأنّه الله.»

ابتسم جمال. «نعم، لقد عرف القادة الدينيّون تلميح يسوع وتفسيره لدانيال ٧: ١٣. كان يسوع يدّعي أنّه إلَهٌ وشخص من السَّماء سيجلس عند يمين الله ويمارس السلطان الأعلى على جميع الشعوب للأبديّة. فلا عجب أنّ السلطات اليهوديّة كانت مستاءة للغاية، كان يسوع قد جدَّف بادّعائه أنّه الله! وبكلّ وضوح كان لدى يسوع إدراك ذاتي لألوهيّته.»[٥١]

سأل جمال «نعم يا جون؟»

«هل علينا معرفة هذه الأمور من أجل الإمتحان؟»

فردّ جمال مبتمساً «هذا سؤال سيّء. عليكم معرفة كلّ شيء أقوله من أجل الإمتحان.»

---

٥١. جوش ماكدويل وشون ماكدويل، نجار وأعظم، (كارول ستريم، إيلينوي: تيندايل، ٢٠٠٩)، ١٩-٢٠.

بينما بدأ الكثير من الطلاّب يدوّنون الملاحظات بشراسة، عرض جمال شريحة باوربوينت جديدة. «إذاً، هذا تحليل لشهادة المسيح الخاصّة، قد ترغبون بتذكّره من أجل الإمتحان القادم، ويبيّن إدعاءاته الواضحة بأنّه:

١. ابن الله المبارك.
٢. الذي سوف يجلس عند يمين القدرة.
٣. ابن الانسان الذي سوف يأتي في سُحب السماء.

تابع جمال «كلّ واحدة من هذه التأكيدات ترتبط بتميُّز بالمسيح. والتأثير التراكميّ لهذه التأكيدات الثلاثة قويّ المعنى. وقد فهم السّنهدريم أي مجلس المحكمة اليهوديّة، كلّ تلك النقاط الثلاث وردّ رئيس الكهنة بتمزيق ثيابه والقول «ما حاجتنا بعد الى شهود؟»[٥٢] لقد سمعوا ذلك بأنفسهم أخيراً وعلى لسان يسوع نفسه. أُدين بكلامه الخاصّ.[٥٣]

٥٢. مرقس ١٤: ٦٣.
٥٣. ماكدويل وماكدويل، نجار وأعظم، ٢٢.

يظهـر عـلى الشريحـة التاليـة اسـتنتاج السـير روبـرت أندرسـون الـذي كان في مـا سـبق رئيـس التحقيـق الجنـائي في سـكوتلاند يـارد. إليكـم مـا لاحظـه»:

> مـا مـن دليـل تأكيـديّ أكـثر اقناعـاً مـن دليـل الشـهود العدائيـين وحقيقـة أنّ إدعَّـاء الـرب بالألوهيّـة هـو أمـر مثبـتٌ تمامـاً عـبر تصرّفـات أعدائـه. علينـا أن نتذكّـر أنّ اليهـود لـم يكونـوا قبيلـة مـن الجهلـة والمتوحّشـين بـل كانـوا شـعباً ذو ثقافـة عاليـة وتديُّـن شـديد، وكان مـن أجـل هـذه التهمـة بالتحديـد ومـن دون أي صـوت معـارض أن حُكِـم عـلى يسـوع بالمـوت مـن قبـل السّـنهدريم، الـذي كان مجلسـهم الوطـني العظيـم المتألِّـف مـن أبـرز زعمائهـم الدينيـيّن، بمـن فيهـم رجـال أمثـال جمالائيـل، الفيلسـوف اليهـودي في القـرن الأول، وتلميـذه الشـهير شـاول الطرسـوسي.[٥٤]

٥٤. روبرت أندرسون، الرب من السماء (لندن: جيمس نيسبيت، ١٩١٠)، ٥.

سألت إميلي «إذاً فإنّ يسوع أراد الإدلاء بتلك الشهادة والادعاء بأنّه هو الله أمام السَّنهدريم؟»

قال جمال «بكلّ تأكيد. هذه هي الشهادة التي كان يسوع يريد أن يدليها عن نفسه. ونرى أيضاً أنّ اليهود فهموا بردِّه أنّه يدَّعي أنَّه الله. وفي تلك اللحظة كان يوجد احتمالين. إمّا أنَّ تأكيداته تجديفاً غريباً أم أنَّه هو الله بالفعل. وقد رأى اللذين حكموا عليه المسألةَ بوضوح، لدرجة أنّهم صلبوه وسخروا منه على الصليب قائلين «قد اتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده! لأنّه قال: أنا ابن الله!».»[٥٥]

سأل نيك «ما المُهمّ في قصّة رئيس الكهنة الذي مزّق ثيابه؟»

«كانت عادةً في الناموس اليهودي تكشفُ عن الاشمئزاز الشديد من النطق بتجديف. ولديّ ملاحظة عن ذلك السؤال بقلم هـ.ب. سويتيه، وهو أستاذ جامعي ملكيٌّ سابق في اللاهوت في جامعة كامبريدج. كتب الدكتور سويتيه»:

٥٥. متّى ٢٧: ٤٣.

كان النامـوس يمنـع رئيـس الكهنـة مـن تمزيـق ثيابـه في المشـاكل الخاصّـة (لاويّين ١٠: ٦؛ ٢١: ١٠) ولكـن عند حكمه في القضـاء، كانـت العـادات تُلزمـه بالتعبير بهـذه الطريقة عـن اشـمئزازه مـن أي تجديـف يُنطـق بـه في حضـوره. عندهـا يظهـر جليـاً ارتيـاح القـاضي المُحـرج. وإذا لـم تكـن الأدلّـة الأكيـدة موجـودة، بذلـك تكون قد اسـتُبدلت ضرورة وجودهـا إذ: قـد جرّم المسـجون نفسـه بنفسـه.[٥٦]

«وبينمـا نتكلّـم في هـذا الموضـوع، لـدي مقطـع مثـير للاهتمـام حـول محاكمـة يسـوع مـن وجهـة نظـر محـامٍ اسـمه إيرويـن لينتـون. لـم تكـن تلـك محاكمـة عاديّـة.» تصفّـحَ جمـال في شرائـح العـرض للحظـات مـن ثـمّ قـال: «ألقـوا نظـرةً عـلى هـذا المقطـع:

> إنَّ هـذه محكمـة فريـدة مـن نوعهـا في المحاكـم الجنائيَّـة لأنَّ القضيّـة تـدور حـول هويّـة المتّهـم ولا حـول أفعالـه. إنّ التهمـة الجنائيّـة الـتي اتُّهـم بهـا

٥٦. هـنري باركلي سـويت، الإنجيل وفقا للقدّيس مرقس (لنـدن: ماكميلان، ١٨٩٨)، ٣٣٩.

المسيح واعترافه أو شهادته أو بالأحرى تصرّفه خلال المحكمة الذي أُدين من أجله، ثمَّ الاستجواب أمام الحاكم الروماني والكتابة والإعلان المدوّنين على صليبه عند الصلب، جميعها تُعنى بمسألة واحدة وهي هويّة المسيح الحقيقيّة وكرامته. ما رأيكم في المسيح؟ ابن من تظنّونه؟»[٥٧]

«تفضلي إميلي.»

«سمعتُ من أشخاصٍ عديدين في القسم الديني أنَّ الدكتور بيترسون أصبح مسيحياً وهو مقتنع بألوهيّة المسيح. هل هذا الأمر صحيح؟»

«نعم، هذا صحيح. لكنّ الدكتور بيترسون يرغب في إبلاغ الطلاّب بذلك شخصياً لذلك فهو سيلقي محاضرة خاصّة عن ألوهيّة المسيح بعد ثلاثة أسابيع. لقد ناقش الأمر معي عند لقائنا للعب الغولف الأسبوع الماضي وهو يأمل حقاً أن يحضر الجميع.»

٥٧. إيروين هـ. لينتون، حكم السنهدرين (نيويورك: لوازو بروس، ١٩٤٣)، ٧.

قال جون بتسرّع وهو يبتسم «أنحصل بذلك على علامات إضافية؟»

نظر جمال إلى جون بجديّة ولم يقل شيئاً. ثمَّ قال بعد التفكير للحظات «سأقول لكم ما يمكن فعله. إذا حضر أيّ منكم المحاضرة وكتب تحليلاً نقدياً من صفحتين لمحاضرة الدكتور بيترسون سأعتبره امتحاناً وأضع علامات إضافيّة على التحليل.»

صاح جون «أجل!» رافعاً مقبضه في الهواء.

تجاهله جمال وتابع كلامه «دعوني ألخّص لكم أيّها الطلاّب بعض الملاحظات، وأشارككم بمقطع إضافيّ قبل أن أصرفكم.» نظر حوله في القاعة للحظات بقصد إقامة اتصال بصري مع الطلاّب ثم قال: «في معظم المحاكم، تُجرى محاكمة المتّهمين لما يُزعم أنّهم ارتكبوه، ولكن لم تكن تلك الحال في محاكمة يسوع. إذ قد تمَّت محاكمته من أجل من ادّعى أن يكون.»

توقّف قليلاً ثمّ تابع كلامه «يجب أن تكون محاكمة يسوع

كافيـة لتبرهـن بشـكل مقنـع أنّـه اعـترف بألوهيّتـه. يشـهد القضـاة الذيـن سـمعوه عـلى ذلـك الادّعـاء وفي يـوم صلـب المسـيح أقـرّ أعـداؤه بأنّـه ادّعـى بأنّـه الله المتجسّـد. أخرجـوا كتبكـم المقدّسـة ولنفتحهـا إلى مـتى ٢٧. أرجـو منـك يـا جـون أن تقـرأ لنـا الآيـات ٤١-٤٣ بصـوت واضـح وعـالٍ.»

بينمـا كان جـون يعـود إلى مكانـه، عـرض جمـال المقطـع عـلى الشاشـة الكبـيرة مـن أجـل الذيـن لـم يحـضروا كتبهـم المقدّسـة.

وكذلـك رؤسـاء الكهنـة أيضـاً وهـم يسـتهزئون مـع الكتبـة والشـيوخ قالـوا: «خَلَّـص آخريـن وأمّـا نفسـه فمـا يقـدر أن يخلّصهـا». إن كان هـو ملـك اسرائيـل فليـنزل الآن عـن الصليـب فنؤمـن بـه! قـد اتّـكل عـلى الله فلينقـذه الآن إن أراده! لأنّـه قـال: أنـا ابـن الله!». وبذلـك أيضـاً كان اللصـان اللـذان صُلبـا معـه يعيّرانـه.»[٥٨]

٥٨. متّى ٢٧: ٤١-٤٣

شـكراً لـك عـلى القـراءة يـا جـون. أراكـم في الحصَّـة المقبلـة.»

الفصل الخامس عشر

ماذا قال الآخرون عن يسوع؟

أمسية يوم الأربعاء انضمّ بريت وسكوت ولورين من جديد إلى المجموعة التي تجتمع في مقهى كاروث هايڤن من أجل إجراء نقاش حول هويّة المسيح. استهلّ جمال السهرة بعرض إثباتات موجزة عن موثوقيّة العهد الجديد وذكرت مينا شيئاً مرتبطاً باعتناق الدكتور بيترسون المسيحيّة. فتبعها سكوت بتعليق أطلق محادثة محتدمة.

«حتّى في الكتاب المقدّس لا يُدعى يسوع بالله.»

قاطع بريت بدوره الحديث ليعبّر عن

موافقته «إنّه على حقّ. لقد قرأت الكتاب المقدّس بكامله هذا الصيف ولم أجد آية واحدة.»

ابتسم نيك فهو كان قد سمع تعليم جمال عن هذا الموضوع.

استلم جمال أطراف الحديث. «هذه ملاحظة جيّدة يا سكوت. التفسير مرتبط باسمه. ولكن ما لا يلاحظه كثيرون هو أنّ كلمتا «يسوع المسيح» ليستا اسماً واسم شهرة، بل اسماً ولقباً بمعنى صفة. إنَّ اسم «يسوع» مشتقّ من الشكل اليوناني للاسم «يهشوع» أو «يشوع» الذي يعني «يهوه المخلّص» أو «الربّ يخلّص». إنّ لقب «المسيح» مشتقّ من الكلمة اليونانيّة للمسيّا التي تعني «الممسوح». إنّ استخدام لقب «المسيح» يحدِّد مركزين هما الملك والكاهن. إنّ اللقب يؤكّد على أنّ يسوع هو الكاهن الموعود والملك في نبوّات العهد القديم. هذا التأكيد أساسيّ جداً من أجل الوصول إلى فهم صحيح ليسوع والمسيحيّة.»[٥٩]

٥٩. ماكدويل وماكدويل، نجار وأعظم، ١٠.

تابع جمال «يمكنني القول يا بريت إنَّ العهد الجديد يبيِّن بوضوح أنَّ المسيح هو الله. ومعظم الأسماء المستخدمة للمسيح فريدة ويستحال استخدامها بالشكل المناسب إلاّ لشخص يكون هو الله. على سبيل المثال، يُدعى المسيح بالله في عبارة «منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلّصنا يسوع المسيح».»[٦٠]

سأل بريت «أين ترد هذه الآية؟»

«في تيطس ٢: ١٣. ولكن يوجد آيات كثيرة غيرها: يوحنا ١: ١، ورومية ٩: ٥، وعبرانيّين ١: ٨، ورسالة يوحنا الأولى ٥: ٢٠-٢١.»

«ولكن ألم يقتبس يسوع بنفسه من المزامير قائلاً «أنتم آلهة»؟ أنا أكيد أنَّ وصف يسوع ليس كوصف الله في العهد الجديد.»

فتح جمال حاسوبه المحمول وبحث عن ملاحظات محاضرته. «ما عنوان بريدك الإلكتروني يا بريت؟ أودّ

٦٠. تيطس ٢: ١٣ نسخة الملك جيمس KJV

إرسال هذا المستند إليك.»

بعد إرسال الرسالة الإلكترونيَّة إلى بريت، سلّم جمال حاسوبه إلى جيسيكا التي كانت صامتة طوال السهرة. «لِمَ لا تقرئين لنا يا جيسيكا البعض من مراجع الآيات هذه التي تعطي ليسوع صفاتاً لا يمكن أن تنطبق إلاّ على الله.»

قالت جيسيكا «حسناً. في الكتاب المقدّس، يتم تقديم يسوع المسيح على أنّه»:

- قائم منذ الأزل (راجع يوحنا١:١؛ ٨:٥٨؛ ١٧:٥؛ ١٧:٢٤)
- كليّ الوجود (راجع متّى ١٨: ٢٠؛ ٢٨: ٢٠)
- كليّ المعرفة (راجع متى ١٧: ٢٢-٢٧؛ يوحنا ٤: ١٦-١٨؛ ٦: ٦٤)
- كلّي القدرة (راجع متّى ٨: ٢٦-٢٧؛ لوقا ٤: ٣٨-٤١؛ ٧: ١٤-١٥؛ ٨: ٢٤-٢٥؛ رؤية ١: ٨)
- مُعطي الحياة الأبديّة (راجع رسالة يوحنا الأولى ٥: ١١-١٢، ٢٠)

تدخّـل نيـك قائـلاً «مـن الأدلّـة الأخـرى عـلى أنّ يسـوع عـرَّف عـن نفسـه عـلى أنَّـه الله هـي أنّـه قَبِـل الكرامـة والعبادة الـتي لا يجـب أن ينالهـا سـوى الله وحـده. لقـد تـمّ ذكـر هـذا الأمـر في صفّنـا مؤخَّـراً. في مواجهـة مـع إبليـس، قـال يسـوع «لأَنَّـهُ مَكْتُـوبٌ: لِلـرَّبِّ إِلهِـكَ تَسْـجُدُ وَإِيَّـاهُ وَحْـدَهُ تَعْبُـدُ».»[٦١]

تكلّمت أندريا «حسناً، أين ترد تلك المراجع؟»

ردّ نيـك «قرأناهـا في الصـفّ منـذ فـترة. الآيـة مـن إنجيـل مـتى حـين كان يسـوع يُجـرّب مـن إبليـس. انتظـري لحظـة، سـأجدها. أتعـرف يـا جمـال أيـن تـرد تلـك الآيـة؟»

«أنـت عـلى حـقّ يـا نيـك. الآيـة هـي في مـتّى ٤: ١٠. كمـا أنّ يسـوع قبِـل العبـادة بصفتِـه الله في مـتّى ١٤: ٣٣ ومـتّى ٢٨: ٩، وادّعـى أنّـه يسـتحقّ العبـادة كونـه الله في يوحنـا ٥: ٢٣. ثـمَّ في عبرانيّـين ١: ٦ وسـفر الرؤيـة ٥: ٨-١٤ يتـم ذكـره مجـدداً كالـذي ينبغـي أن ينـال العبـادة.»

قاطعـه سـكوت قائـلاً «ولكـنّ اليهـود كانـوا مُوحِّديـن بشـكلٍ جـدٌّ مُتديِّـن ويبـدو أنَّ وحدهـم غـير اليهـود هـم

٦١. متى ٤: ١٠

الذين آمنوا بيسوع أنّه الله من خلال تعاليم بولس.»

ردّت مينا «صحيح أنّ اليهود كانوا مُوَحِّدين بشكل متديِّن جداً ولكنّ يسوع كان يهودياً وبولس كان يهودياً والكثير من أتباع يسوع الأوائل كانوا من اليهود. والآيات التي أشار إليها جمال وجيسيكا تظهر بوضوح أنّهم اعترفوا بيسوع بأنّه هو الله بنفسه.»

قالت أندريا «لا زلتُ غير متأكّدة من هذا الأمر، يا مينا.»

فسأل جمال «حسناً، كم كتاب مقدّس لدينا هنا؟»

قالت جيسيكا «يبدو أنّه لدينا خمسة كتب» بعد أن لاحظت أنَّ كلّاً من بريت وأندريا أحضرا كتاباً مقدّساً.

سأل جمال « يا أندريا، هل لديكِ كتاب مقدّس على حاسوبك الـ«ماك»؟»

«أجل!»

«هل يمكنك البحث عن متى ١٦: ١٦؟ تأتي هذه الآية

بعد أن سأل يسوع تلاميذه من يظنّون أنّه هو.»

«فَأَجَـابَ سِـمْعَانُ بُطْـرُسُ وَقَـالَ: «أَنْـتَ هُـوَ الْمَسِـيحُ ابْـنُ اللهِ الْحَـيِّ!».» احمرّ وجـه أندريـا وهـي تقـرأ هـذه الآيـة. لسـبب مـا شـعرت بالتوتّـر والتبكيـت وهـي تقـرأ الكتـاب المقـدّس ولـم تـرد إظهـار ذلـك.

قـال جمـال «يـا أندريـا، لـم يـردّ يسـوع عـلى اعـتراف بطـرس بتصحيـح بـل بإقـرار صلاحيـة ذلـك الاعـتراف ومصـدره. أيمكنـك قـراءة الآيـة التاليـة مـن فضلـك؟»

«فَأَجَـابَ يَسُـوعُ وَقَـالَ لَـهُ: «طُـوبَى لَـكَ يَـا سِـمْعَانُ بْـنَ يُونَـا، إِنَّ لَحْمًـا وَدَمًـا لَـمْ يُعْلِـنْ لَـكَ، لكِـنَّ أَبِي الَّـذِي فِي السَّـمَاوَاتِ.»[٦٢]

«هـل يمكنـك قـراءة سـفر أعمـال الرسـل ٢٠: ٢٨ يـا سـكوت؟ يمكنـك اسـتعمال كتـابي المقـدّس.»

«طبعاً.»

---

٦٢. متّى ١٦: ١٧

بينما كان جمال يعطيه كتابه المقدّس قال: «يا سكوت، بسبب تعمُّق بولس الموسَّع في الفريسيَّة من الصَّعب أن يكون شخصاً يعطي الألوهيّة ليسوع، ويعبد رجلاً من الناصرة ويدعوه رباً. أليس كذلك؟»[٦٣]

أومأ سكوت برأسه ايجاباً.

«خذ هذا الأمر في الاعتبار بينما تقرأ ما يقوله بولس في هذه الآية.»

قال سكوت «سأفعل. حسناً. إليكم الآية: اِحْتَرِزُوا إِذًا لأَنْفُسِكُمْ وَلِجَمِيعِ الرَّعِيَّةِ الَّتِي أَقَامَكُمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ فِيهَا أَسَاقِفَةً، لِتَرْعَوْا كَنِيسَةَ اللهِ الَّتِي اقْتَنَاهَا بِدَمِهِ.»

«شكراً لك يا سكوت. دمُ من كان الذي أشار إليه بولس هنا؟»

تابع سكوت قراءة النصّ لنفسه «انتظر لحظة. في هذه الآيات، لماذا لا يدعون يسوع مباشرةً بـ«الله»، حرفياً «ا-ل-ل-ه»؟»

٦٣. ماكدويل وماكدويل، نجار وأعظم، ١٢.

ردّ جمـال «كان المجتمـع اليهـودي يفهـم جيِّـداً تلـك الألقـاب الأخـرى للألوهيّـة ويسـتخدمها. لكـنَّ يسـوع يُدعـى بـالله حرفيـاً «ا-ل-ل-ه» في بعـض تلـك الآيـات. هـلّا قـراءة الرسـالة إلى العبرانيّـين ١: ٨ مـن فضلـك يـا سـكوت؟ فكاتـب الرسـالة إلى العبرانيّـين يدعـو المسـيح بـ«الله».»

قـال سـكوت «كلا، أنـا أفضّـل ألّا أقـرأ. هـذا الأمـر سـخيف.»

قالـت أندريـا «أعطـني الكتـاب المقـدّس. أنـا سـأقرأها. «وَلَكِنَّـهُ يُخَاطِـبُ الابْـنَ قَائِـلاً: «إِنَّ عَرْشَـكَ، يَـاالله، ثَابِـتٌ إِلَى أَبَـدِ الآبِدِيـنَ، وَصَوْلَجَـانَ حُكْمِـكَ عَـادِلٌ وَمُسْـتَقِيمٌ».»

أعادت أندريا الكتاب المقدّس إلى جمال «تفضّل.»

تكلّمـت مينـا قائلـةً «إليكـم واحـدة مـن آيـاتي المفضّلـة. كولـوسي ٢: ٩ «فَإِنَّـهُ فِي المَسـِيحِ يَحِـلُّ كُلُّ مِـلْءِ اللاَّهُـوتِ جَسَـدِيًّا.» ثـمّ لدينـا القديـس المفضَّـل لطـلاب الحقـوق، توما المشـكّك، الـذي قـال «إن لـم أبـصر في يديـه أثـر المسـامير، وأضـع اصبعـي في أثـر المسـامير، وأضـع يـدي في

جنبه، لا أؤمن».[٦٤]

فقال نيك «أتعرفون شيئاً، أنا أفهم توما. فأنا كنت مثله في العام الماضي أطلب الأدلّة. لا أتحمَّل أن أرى بعض المسيحيين يؤمنون بأي شيء من دون التحقّق منه. لكنّ توما يحفّزني. كأنّه يقول «ليس حدثاً يومياً أن يقيم أحدهم نفسه من الموت أو يدّعي أنّه الله المتجسّد. إن كنتم تنتظرون منّي أن أصدّق ذلك فأنا بحاجة إلى القليل من الأدلّة.»

تابعت مينا «وبعد ثمانية أيّام، حصل توما على الأدلّة التي أرادها. اسمعوا ما حصل:

وبعد ثمانية أيّام كان تلاميذه أيضاً في الدّاخل وتوما معهم. فجاء يسوع والأبواب مغلقة، ووقف في الوسط وقال: «سلام لكم!». ثم قال لتوما: «هات اصبعك إلهنا وابصر يديّ، وهات يدك وضعها في جنبي، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً.»

٦٤. يوحنا ٢٠: ٢٥

أجاب توما وقال له: «ربي والهي!».[٦٥]

فلاحظت مينا قائلةً: «قَبِل يسوع بإقرار توما عنه على أنّه الله. وهو بكّت توما على عدم إيمانه وليس على عبادته.»

وبينما كان جمال ومينا يتكلّمان عن ألوهيّة المسيح، شعرت أندريا بأنّها تخسر معركة لن تتمكّن من الفوز بها. كان أصدقاؤها أذكياء وليسوا مجرّد أشخاص عالقين في تجربة دينيّة عاطفيّة. بدأت حُججهم بإقناعها بأنّ المسيح لم يكن يتمتَّع ببعض الصفات الإلهيَّة فحسب بل أنَّه برهن ادّعاءاته بقيامته. ومع ذلك، كان لايزال لديها أسئلة. إذا كان الله صالحاً وقوياً لتلك الدرجة، فلماذا ترك قريبها يموت؟ ولماذا سمح الله لوالديها بأنّ يطلِّقا؟ ولماذا لم يردع كاهنُها السابق عن...

وبينما كانت أندريا سارحة في أفكارها، تساءلت كيف كانت حياتها لتختلف لو وضعت ثقتها في يسوع.

---

٦٥. يوحنا ٢٠: ٢٦-٢٨

هـل سـيبقى مسـموحاً قضـاء أوقـات ممتعـة؟ مـاذا سـيكون رأي عائلتهـا؟ لكـنَّ أفكارهـا السـارحة توقَّفـت فجـأةً.

سأل جمال «ما رأيكِ يا أندريا؟»

«بماذا؟»

قال جمال «باعتراف توما.»

ردّت أندريا «ممم، أظنّ أنّه مثير للاهتمام.»

وإذا بصـوت يـصرخ مـن الجانـب الآخـر مـن الصالـة «أليـس هـذا جمـال واشـنطن!»

الفصل السادس عشر

الدكتور إنغراهام غير مسرور

استدار الجميع لرؤية رجل كبير في السنّ يرتدي معطفاً رياضياً رمادياً يسير في اتجاههم.

قال بريت «أهلاً دكتور إنغراهام.»

قالت لورين «مرحباً دكتور إنغراهام. كان العرض الذي قدّمته في اجتماع نادي الملحدين منذ أسبوعين رائعاً.»

«شكراً لك يا لورين. آمل ألاّ يكون الدكتور واشنطن هنا يغسل أدمغتكم جميعاً بلاهوته الطائفي.»

ابتسم كلايتون إنغراهام لجمال. «قد تكون أقنعت بيل بيترسون بأنّ يسوع قام من بين الأموات، ولكن بكلّ تأكيد لن تقنعني أنا.»

اشتعلت مشاعر نيك في داخله وفتح فمه ليتكلّم لكنَّ جمال نظر إليه نظرة سريعة ومركَّزة. فأخذ نفساً عميقاً وأغلق فمه.

لوّح جمال بيده مرحِّباً به بلطف بدون أي اضطراب على الإطلاق قائلاً «دكتور إنغراهام، أنا ممتنّ لمجيئك وأودّ دعوتك للانضمام إلينا. نحن نلتقي هنا كلّ ليلة أربعاء وعند وصولك كنّا نتناقش ألوهيّة المسيح. أيمكنني أن أدعوك إلى فنجان قهوة؟»

«لا شكراً لك، أخشى أنّه عليّ متابعة طريقي.»

«حسناً، إنّه مُرحّب بك بيننا في أيّ وقت. يمكننا المشاركة بآرائنا نحن الإثنان ثمّ الإجابة على الأسئلة. موقفك ليس مخفيّ عنّي وأعتقد أنّك تعرف ما هو موقفي بما أنّك سمعتني أُعلِّم.»

«أجل لقد سمعتُ تعليمك بالفعل. قد تتمكّن من الفوز ببعض الطلاب الجامعيّين بندائك العاطفيّ، ولكنّك بكلّ تأكيد لن تقنعني. إنَّ وجهة نظرك ضيقة الأفق ومتعصّبة.»

فكّرت أندريا في نفسها «أنت تتّهم جمال بأنّه ضيّق الأفق ومتعصّب وأنت لست على استعداد لسماع رأيه؟ أليس هذا تعصّباً؟»

فسألت مينا «يا دكتور إنغراهام، هل تفكّر في حضور محاضرة الدكتور بيترسون القادمة؟»

«الكلّ يتكلّم عن هذه المحاضرة، أليس كذلك؟ لقد كان بيل صديقاً مقرّباً لي لسنوات كثيرة لذلك فلن أفوّت الفرصة لدعمه، لكنّ هذا لا يعني أنّني أتّفق معه. أنا شخصياً أظنّ أنّ وفاة شقيقته أثّرت فيه أكثر ممّا يدرك.»

علّق جمال قائلاً «أنا مسرور لأنّك ستحضر يا دكتور إنغراهام، ولا تنس دعوتي لك للانضمام إلينا ليالي الأربعاء.»

بعـد مغـادرة الدكتـور إنغراهـام، تابعـت المجموعـة حديثهـا مـع أنّ زخـم المناقشـة كان قـد انتهـى. أجـاب جمـال عـلى بضعـة أسـئلة عـن الـشرّ، والأخلاقيّـات في العهـد القديـم والقيامـة، مـن ثـمّ طلـب مـن لوريـن إخبـار قصّتهـا وإثبـات إلحادهـا.

وافقـت لوريـن بـتردّد وفـسّرت كيـف أنّهـا في نشـأتها اعتـادت حضـور كنيسـة مسـتقلَّة غـير طائفيّـة علّمـت الكتـاب المقـدّس آيـة بآيـة، ولكنّهـا توقّفـت عـن الذهـاب بعـد طـلاق والديهـا. قالـت إنّهـا خـلال المدرسـة الثانويّـة بقيـت تصـلّي في مناسـبات نـادرة لكنّهـا توقّفـت في نهايـة المطـاف لأنّهـا لـم تجـد منفعـة مـن صلواتهـا. ومـن خـلال دراسـتها عـن التطـوّر وعلـم الإنسـان خـلال سـنتها الدراسـيّة الثانيـة في بـراون، اقتنعـت بـأنّ الإلحـاد صحيـح. لكنّهـا اعترفـت أيضـاً أنّهـا منفتحـة للإيمـان بـالله في حـال وجـود أدلّـة مقنعـة.

تحدّثـت مينـا بإيجـاز عـن وجـود علامـات تصميـم مؤلفة مـن ترميـز جينـي وتعقيـد غـير قابـل للاخـتزال والتطـور داخل تركيبـة الجينـات، وقالـت لوريـن إنّ إثبـات وجـود تصميـم

لا يثبت وجود الله. ثمَّ خفَّت المحادثة فودّعوا بعضهم وغادروا.

بعد ذلك، بينما كان نيك يقود جيسيكا لإيصالها إلى شقّتها، قال «كدتُ أنفجر عندما أتى الدكتور إنغراهام إلى طاولتنا.»

«كدتَ ولكنّك لم تفعل. وفي الواقع يا نيك، أنا أقدّر جرأتك، فهو تعامل مع جمال بوقاحة كبيرة وأنا أعلم أنّك لا تخاف من التعبير عن رأيك بصراحة. في العادة، أنا أخاف من قول أيّ شيء.»

«أظنّ يا جيسيكا أنّ أندريا تقدّر مصداقيّتك ولطفك. مينا تعرف الكثير وتجيب على كلّ أسئلتها، ولكن يبدو أنّ أندريا تهتمّ لما تفكّرين فيه أنتِ مع أنّكما لا تتناقشان باللاهوت بالقدر نفسه.»

«أنا أحبّ أندريا. كنتُ أودّ التكلّم أكثر في هذه النقاشات ولكن ليست لديَّ كلّ الأجوبة على أسئلتها. لقد تعلّمت الكثير من مجرّد الاستماع. أنا ممتنَّة لأنّك عرّفتني على مينا

وجمال السنة الماضية.»

«أنا أيضاً تعلّمتُ كثيراً جداً منهما.»

سألت جيسيكا «هل وصلتك الرسالة الإلكترونية من سوزان بيترسون؟»

«عن الدعوة لتناول الحلويات في منزلهما بعد محاضرة الدكتور بيترسون؟»

«أجل! أنا متحمّسة جداً لأننا سنتمكّن من التحدّث قريباً. قالت لي السيّدة بيترسون إنّها دعت أندريا أيضاً. أظنّ أنّني سأتّصل بها بعد بضعة أيّام لأطلب منها الانضمام إلينا.»

«فكرة رائعة.»

الفصل السابع عشر

محاضرة الدكتور بيترسون عن يسوع

دعـا الدكتـور بيترسـون نيـك وجيسـيكا للانضمـام إليـه لبضعـة دقائـق في الكواليـس قبـل محاضرتـه. كانـت موجـودة معـه السـيّدة بيترسـون وجمـال ومراسـلين قـد حـضرا وجـيرزاً ليطرحـا عـلى الدكتـور بيترسـون بعـض الأسـئلة. بعـد قضـاء عـشر دقائـق مـع المراسـلين، نظـر الدكتـور بيترسـون حولـه وإذ بصديـقٍ مقـرَّبٍ يسـير نحـوه. «كلاي! كيـف حالـك؟»

اصطنـع نيـك ابتسـامة سريعـة ونظـر إلى جمـال الـذي كان يبتسـم بصـدق. ففكّـر في نفسـه، كيـف يفعـل ذلـك؟

«يـا بيـل بيترسـون، لـم أظـنّ يومـاً أنّـني سأشـهد هـذا اليـوم، ولكنّـني مـسرور جـداً لرؤيتـك!»

أطـلّ الدكتـور كلارك برايـس، نائـب الرئيـس، برأسـه وقـال «دكتـور بيترسـون، قاعـة المحـاضرات ممتلئـة وحـان الوقـت لنبـدأ. أنـا سـأقوم بالترحيـب، ومـن بعـدي العميـد سانشـيز سـيتحدَّث عـن سـيرتك، مـن ثـمَّ لديـك حـوالى سـبعون دقيقـة تقريبـاً مـن أجـل إلقـاء محاضرتـك. حـاول أن تختـم المحـاضرة بحلـول السـاعة ٨:١٥ لنتمكّـن مـن إفسـاح المجـال للأسـئلة لمـدّة ١٥ دقيقـة.»

بعـد دقائـق قليلـة، بـدأ الدكتـور بيترسـون بكلمتـه. «شـكراً لكـم عـلى هـذه المقدّمـة الحـارَّة واللطيفـة جـداً. زمـلائي الأعـزّاء، حـضرة الطـلاّب والحضـور الكريـم، أنـا ممتنّ جـدّاً لأنّكـم اخترتـم حضـورَ هـذه الأمسـية. خـلال اللحظات القادمـة الـتي سنتشـارك بهـا معـاً أرغـب في أن أشـارككم بمسـيرتي الأكاديميّة والشـخصيّة الخاصّة وبشـكل خاص أودّ أن أكلِّمكـم عـن كيـف تغـيّرت معتقـداتي عـن المسـيح التاريخي.»

مـع بـدء محـاضرة الدكتـور بيترسـون، لاحظـت أندريـا كيـف عـمَّ الهـدوء في القاعـة. كانـت جالسـة في الصـفّ الثالـث مـع جيسـيكا ونيـك ومينـا إلى يسـارها، وبريت ولورين وسـكوت إلى يمينهـا. ومـع أنّهـا عرفـت أنّـه سـيحصل اختـلاف في الـرأي بـين الحضـور، شـعرت بـأنّ أصدقاءهـا في نـادي الملحديـن سـيحترمون العـرض الـذي سـيقدّمه الدكتـور بيترسـون. كمـا أنّهـا علمـت أنّ سـكوت لـن يـتردّد في طـرح سـؤال صعـب أو اثنـين في النهايـة. تسـاءلت أندريـا عمّـا سـتكون ردّة فعـل أصدقائهـا إذا قـرّرت أن تضـع ثقتهـا في المسـيح. وفي تلـك اللحظـة بـدأت تفكّـر في جميـع الأحاديـث الـتي أجرتهـا مـع جمـال ونيـك ومينـا، ومـع أنّـه لـم تتـمّ الإجابـة عـلى كلّ أسـئلتها، بـدا أنّ حقيقـة المسـيحيّة بـدأت تصبـح أكـثر إقناعـاً مـن الإلحـاد. وبعـد التأمّـل في شـكوكها الفكريّـة الخاصّـة، بـدأت بالتركـيز عـلى محـاضرة الدكتـور بيترسـون.

«عندمـا كنـتُ طفـلاً كانـت أمّـي تأخذنـا أنـا وأخـتي إلى كنيسـة مشـيخيّة في نيويـورك. لقـد آمنـتُ بالمسـيح في بـادئ الأمـر في مرحلـة صغـري، ولكنّـني أصبحـتُ مشـكّكاً في كليَّـة

الدراسات العليا بسبب انزعاجي من فروقات في مخطوطات ورق البردي أو في نسخ من العهد الجديد. وكطالب، شعرت بالإحباط بسبب الشرّ والظلم في العالم وسألت نفسي لماذا قد يسمح الله بهذا الشرّ. وبالنظر إلى الوراء، أظنّ أنّ الفلاسفة الذين درستُ عنهم، أمثال «إيمانويل كانت» بدأوا يوثّرون في آرائي. وتساءلت عمّا إذا كنّا نستطيع معرفة أي شيء خارج العالم الماديّ. بقيت لديّ نظرة لا أدريّة عن لله وقلتُ لنفسي إنّه إذا كان موجوداً فهو ربوبيٌّ بعيدٌ عنا كلَّ البُعد، وليس كليّ القدرة وهو ربما عاجز عن حلّ مشكلة الشرّ. لعدّة سنوات، لجأت حتّى إلى الإلحاد وحاولتُ أن أقلب طلاّبي ضدّ الله. فتحدّثتُ عن الشرور في أخلاقيّات العهد القديم، وأقوال يسوع الصعبة، وجرائم القتل التي قام بها أشخاص متديّنون.

ومع أنّني تصارعتُ مع مشكلة وجود الشرّ تلك، إلاّ أنَّ الاعتراف بوجود الموضوعيّة في الشرّ والأخلاقيّات هو ما بدأ يعيد توجيهي إلى الله منذ سنوات عديدة. وقد تصارعت مع أنواع الأخلاقيّات المتنوِّعة جميعها -

النظريَّات النفعيّة والكمية والنوعية، والنسبيّة، بالإضافة إلى أنواع علم الأخلاق الواجبة – وقد اكتشفتُ أنَّ أفضل تفسير للأخلاقيّات الموضوعيّة كان بالإيمان بإله يشكّل المعيار لجميع القوانين الأخلاقيّة.

ثمَّ منذ بضعة سنوات، وبعد إجراء عدداً من الأحاديث مع صديق هو فيلسوف مُلحدُ ابتعد عن الإلحاد، قضيتُ وقتاً في دراسة نظريّة التصميم الذّكي لمؤلّفين أمثال فرانسيس كولينز ووليام ديمبسكي، وجوناثان ويلز ومايكل بيهيه. وبدأت بالاعتراف بالاحتمالات التي تقدِّمها نظريَّة التصميم الذكي. ولكنّني كنتُ لا أزال مشكّكًا في الكتاب المقدّس وفي معجزات العهد الجديد.»

«لسوء الحظّ، لم أكتفِ بالشكوك التي اختبرتها، بل استمرّيتُ بمهاجمة معتقدات أي مسيحيّ ألتقي به. بسببي أنا توقّفت زوجتي عن الذهاب إلى الكنيسة. وليس هذا فحسب، بل إنّني أقنعتُ المئات، إن لم يكن الآلاف، من الطلاّب أن يشكّكوا في سلطان الكتاب المقدّس. أخشى أنّني أضعفتُ إيمان الكثيرين. في الواقع، أنا أعرف أنّي فعلتُ ذلك.

خـلال الشـتاء المـاضي، عندمـا عرفـتُ أنّ شـقيقتي باربـرا مصابـة بـورم دماغـيّ، أخـذت إجـازة مـن التعليـم وعَيَّنـتُ مـكاني مسـاعدي جمـال واشـنطن ليسـتبدلني في الكثـير مـن الصفـوف الـتي كنـتُ أعلِّمهـا. وبعـد القيـام بعـدّة رحـلات إلى بورتلانـد، قـرّرتُ أنـا وزوجـتي أن نبقـى هنـاك مـع أخـتي لغايـة وفاتهـا.»

«مـن كان يعـرفُ أخـتي مـن بينكـم يعـرف أنّهـا لـم تكـن مؤمنـة بـالله فحسـب، بـل قـد عاشـت إيمانهـا المسـيحيّ بوضـوح أيضـاً. ولـم يكـن إيمانهـا أعمـى. أنـا أتذكّـر أنَّ باربـرا قـرأت أعمـال ن. ت. رايـت العلميّـة حـول القيامـة وأرادت أن تناقشـني في الموضـوع. كنـتُ أعـرف أنَّـه لا توجـد أيُّ فرصـة لي بالفـوز ضدّهـا.»

ضحـك أشـخاص عديـدون مـن بـين الحضـور بشـكل خافـت، وتوقّـف الدكتـور بيترسـون للحظـات.

«خـلال جنازتهـا، بدأتُ في التفكير إراديـاً ومطوَّلاً في إمكانية وجـود السـماء وتأثـيرات القيامـة عـلى الحيـاة مـا بعـد الموت.

لقـد أحزنـني رحيلهـا، وتكلَّـم القسّـيس يومهـا عـن كلمـات بولـس إلى الكنيسـة في تسـالونيكي الـتي جـاء فيهـا «لا تحزنـوا كالباقـين الذيـن لا رجـاء لهـم»[٦٦] وبينمـا كنـتُ أسـتمع، تسـاءلت بيـني وبـين نفسي حـول مـا إذا كان لـديّ أيّ رجـاء.»

«عنـد نهايـة الجنـازة، فوجئـتُ برؤيـة أحـد طـلاّبي بـين الحضـور. كان نيـك طالبـاً جامعيـاً جديـداً السـنة الماضيـة وكان يتمـيَّز بقابليّـة نهمـة للتعلّـم. ومـع أنّـه ذهـب إلى الكنيسـة في نشـأته إلا أنَّـه ابتعـد عـن الإيمـان بألوهيّـة المسـيح إلى حـدٍّ كبـير بسـبب تعليمي. لكـن لحسـن الحـظّ، لـم يكـن نيـك راضيـاً باعتراضـاتي عـلى المسـيحيّة. فأجـرى تحقيقـات في ادّعـاءاتي مـن تلقـاء نفسـه وفي النهايـة عـاد إلى الإيمـان. وليـس ذلـك فحسـب، بـل تحـلّى بالجسـارة ليحـضر جنـازة أخـتي ويقـول لي إنَّ يسـوع المسـيح يحبّـني وقـد مـات مـن أجـلي. تصـوَّروا هـذا الأمـر معـي مـن فضلكـم، طالـبٌ جامعـيّ جديـدٌ لا يتمتّـع بـأيّ تدريـب لاهـوتي يتحـدّاني أنـا الأسـتاذ المتفـرّغ للتعليـم منـذ ثلاثـين عامـاً، لأكـون منفتحـاً

٦٦. أنظر تسالونيكي الأولى ٤:١٣

فكرياً حول فكرة القيامة والحياة بعد الموت! لم أرد الاعتراف بالأمر في ذلك الوقت، لكنّ التحدّي الذي واجهني به أشعل ناراً في داخلي. ولمدّة شهرين متواصلين أعدتُ إجراء التحقيقات في كلّ شيء. أعدتُ تقييم الإيمان بوجود الله وبإمكانيّة حصول المعجزات وقضيتُ وقتاً في إنعاش بحوثي وفي دراسة الاختلافات في المخطوطات. وفي النهاية، لم يكن لديّ خيار آخر سوى الإقرار بأنّ العهد الجديد حقيقيّ تاريخياً.»

«أودُّ أن أشارك معكم الليلة لماذا أنا أومن بموثوقيّة الشهادة عن يسوع المسيح في الأناجيل وفي كتابات العهد الجديد.»

حاضَر الدكتور بيترسون بشغف عن موثوقيّة الكتاب المقدّس في ما يتعلَّق بوفرة مخطوطات الأناجيل وبتاريخها المبكّر. وبينما كان يفعل ذلك، أمسك نيك بيد جيسيكا. هو يعرف أنّها كانت تصلّي من أجل الدكتور بيترسون وأنّها على الأرجح تصلّي بصمت الآن من أجل أندريا بينما يتكلّم. أما جيسيكا، فكانت قد غمزت نيك عندما ذكر الدكتور بيترسون اسمه.

الفصل الثامن عشر

يسوع وأبوه

بعـد أن تكلَّـم الدكتـور بيترسـون لمـدَّة عشريـن دقيقـة عـن موثوقيّـة العهـد الجديـد، أعطـى عـدّة مراجـع في الكتـاب المقـدّس تشـير إلى إعلانـات المسـيح عـن ألوهيَّتـه. كمـا أنّـه كشـف عـن أدلّـة عـلى قيامـة المسـيح. لاحظـت أندريـا أنّ البعـض ممّـا قالـه بـدا مشـابهاً لتعليـم جمـال. تابـع الدكتـور بيترسـون إلقـاء محاضرتـه بحـسّ مـن القناعـة والسّـلطان كمـا لـم يُشـهد لـه يومـاً في محاضراتـه مـن قبـل.

«في إنجيـل يوحنـا، حصلـت مواجهـة بـين يسـوع ومجموعـة مـن القـادة اليهـود.

ما أثارَ تلك المواجهةَ هو شفاءُ يسوع لرجل كسيح يومَ السَّبت. كان يُمنع على اليهود القيام بأيّ عمل في السَّبت، فقام القادة اليهود بمضايقته لأنَّه كسر قواعد السَّبت. فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ». «فَمِنْ أَجْلِ هذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ، بَلْ قَالَ أَيْضًا إِنَّ اللهَ أَبُوهُ، مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِاللهِ».»[٦٧]

نظر الدكتور بيترسون إلى الدكتور كلايتون إنغراهام والبعض من أساتذة الكليَّة الجالسين في الصفِّ الأماميِّ. «قد يقول البعض من زملائي «حسناً يا بيل، لا أفهم كيف يثبتُ هذا الأمر أيَّ شيء. يسوع دعا الله أباهُ. وماذا في ذلك إذاً؟ فجميع المسيحيّين يدعون الله أباهم ولكنَّ هذا لا يعني أنَّهم يدَّعون بأنّهم الله.»[٦٨]

«إنَّ اليهود في زمن يسوع فهموا من كلام يسوع معنًى غاب عنّا بسهولة الآن. في كلِّ مرَّة ندرس فيها وثيقة ما، علينا أن

٦٧. أنظر يوحنا ٥: ١٦-١٨

٦٨. ماكدويل وماكدويل، نجّار وأعظم، ١٤.

نأخـذ في الاعتبـار اللغـة والثقافـة ولاسـيَّما الشـخص أو الأشـخاص الذيـن تتوجّـه إليهـم الوثيقـة. وفي هـذه الحالـة، إنَّ الثقافـة يهوديّـة والأشـخاص الذيـن يتـمُّ التوجّـه إليهـم هـم القـادة الدينيّـون اليهـود. وثمّـة شيء في مـا قالـه يسـوع جعلهـم يسـتاؤون جـداً. إذ جـاء في النـص: «فَمِـنْ أَجْـلِ هـذَا كَانَ الْيَهُـودُ يَطْلُبُـونَ أَكْـثَرَ أَنْ يَقْتُلُـوهُ، لأَنَّـهُ لَـمْ يَنْقُضِ السَّـبْتَ فَقَـطْ، بَـلْ قَـالَ أَيْضًـا إِنَّ اللهَ أَبُـوهُ، مُعَـادِلاً نَفْسَـهُ بِـاللهِ.»[٦٩]

توجّـه الدكتـور بيترسـون بحديثـه مـن جديـد مبـاشرةً إلى الدكتـور إنغراهـام وأسـاتذة الكليَّـة. «مـاذا كان بإمكانـه أن يقـول ليتسـبّب بمثـل ردّة الفعـل العنيفـة هـذه؟ الكثـير منكـم لا يوافقـني الـرأي في مـا أقولـه هـذا المسـاء، ولكـن آمـل أنّكـم لا تحاولـون إيجـاد وسـيلة لقتـلي! عـلى الأقـلّ ليـس جميعكـم...» توقّـف ليبتسـم بينمـا ضحـك أشـخاص عديـدون، ثـمّ تابـع قولـه «دعونـا ننظـر إلى المقطـع ونـرى كيـف فهـم اليهـود تعليقـات يسـوع منـذ أكـثر مـن ألفـي سـنة في ثقافتهـم الخاصّـة.»[٧٠]

---

٦٩. يوحنا ٥: ١٨

«كانت تكمن مشكلتهم في أنّ يسوع قال «أبي» وليس «أبانا»، وبحسب قواعد لغتهم، إنّ استعمال يسوع لهذه الجملة كان ادّعاءً بأنّه معادلٌ لله. نادراً ما أشار اليهود إلى الله على أنّه «أبي»، أو إذا فعلوا ذلك، كانوا دائماً يخفّفون من حدّة البيان عبر إضافة عبارة «في السماء». لكنّ يسوع لم يُضف تلك الجملة. لقد قام بادّعاء يستحيل تفسيره بشكل خاطئ أمام اليهود حين دعا الله «أبي».»[٧١]

ولم يدّعِ يسوع أنّه متساوٍ مع الله وأنَّ الله أبوه فحسب، بل أكّد أيضاً أنّه واحدٌ مع الآب. خلال عيد التكريس في أورشليم قصد البعض من القادة اليهود الآخرون يسوع وسألوه عمّا إذا كان هو المسيح. ختم يسوع التعليقات التي قدّمها لهم بالقول «أنا والآب واحدٌ.»[٧٢] « فَتَنَاوَلَ الْيَهُودُ أَيْضًا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَعْمَالاً كَثِيرَةً حَسَنَةً أَرَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَبِي. بِسَبَبِ أَيِّ عَمَلٍ مِنْهَا تَرْجُمُونَنِي؟»»[٧٣]

٧٠. ماكدويل وماكدويل، نجّار وأعظم، ١٤.

٧١. المرجع نفسه، ١٥.

٧٢. يوحنا ١٠: ٣٠

«قـد يتسـاءل البعـض منكـم لمـاذا كانـت ردّة فعـل اليهـود عنيفـة للغايـة عـلى مـا قالـه يسـوع عـن أنّـه والآب واحـدٌ. إنَّ تركيبـة الجملـة باللغـة اليونانيّـة تُجيـب عـلى هـذا السـؤال. لقـد كَتَـب أ. ت. روبرتسـون العالـم اليونـاني الأبـرز في عـصره، أنّ في اللغـة اليونانيّـة كلمـة «واحـدٌ» في المقطـع محايـدة، ولا تشـير إلى المذكـر ولا تشـير إلى اتحـادٍّ في الشـخص أو الغـرض بـل إلى الاتحـادِّ في «جوهـر الطبيعـة». مـن ثـمّ يضيـف روبرتسـون «إنّ هـذا التصريـح الواضـح يتـوّج ادّعـاءات المسـيح عـن العلاقـة الـتي بينـه وبـين الآب، وهـو يقـود الفرّيسـيّين إلى الشـعور بغضـب خـارج عـن السـيطرة».»[٧٤]

٧٣. يوحنا ١٠: ٣١-٣٢

٧٤. أرشـيبالد توماس روبرتسـون، صـور الكلمـات في العهـد الجديـد (نيويـورك: هاربـر أنـد بـروذرز، ١٩٣٢)، ٥: ١٨٦.

الفصل التاسع عشر

من تقولون إنّي أنا؟

رفـع الدكتـور بيترسـون صوتـه ونظـر مبـاشرةً إلى الموجودين في القاعـة. «أصدقـائي، لقد ادّعى يسـوع المسـيح بأنّـه الله، وبالنسـبة إليـه إنَّ الأهميَّـة القسـوى هـي أن يؤمـن الرِّجـال والنسـاء بأنّـه فعـلاً مـن قـال إنَّـه هـو. فإمّـا نؤمـن بـه أو لا نؤمـن. لـم يـترك لنـا أي هامـش منـاورة مـن أجـل خيـارات وسـطيَّة مخفَّفـة. واسـتناداً إلى ادّعـاءات يسـوع عـن نفسـه، إذا لـم تكـن ادّعاءاتـه صحيحـة فلـن يكـون بإمكانكـم دعوتـه بالرجـل الأخـلاقيّ الصالـح ولا بالنـبيّ العظيـم. إنَّ تلـك

الخيارات ليست مفتوحة أمامنا ولم يقصد يسوع بها أن تكون كذلك يوماً.»

«بما أنّنا أثبتنا بالفعل تاريخيّة الأناجيل في العهد الجديد، فنحن نستبعد إمكانيّة أن يكون المسيح أسطورةً. وننتقل الآن إلى الكلام الشهير للأستاذ السابق في جامعة كامبريدج، سي أس لويس الذي كان هو نفسه لا أدرياً سابقاً. وقد كتب»:

أحاول منع أيّ شخص من قول الكلام السَّخيف جداً الذي غالباً ما يقوله الناس عن يسوع: «أنا جاهز للقبول بيسوع كمعلّم أخلاقيٍّ عظيم ولكنّي لا أقبل باعلانه أنّه الله.» إنّه تحديداً الأمر الذي لا ينبغي علينا قوله. فإن كان الشخص مجرّد رجل وقال الأمور التي قالها يسوع فهو لن يكون معلّماً أخلاقيّاً عظيماً بل سيكون إمّا مجنوناً، بقدر الرجل الذي يقول إنّه بيضة مسلوقة من دون قشر، إمّا سيكون الشيطان من جهنّم. عليك القيام بخيارك. فإمّا هذا الرجل كان وهو ابن الله، إمّا كان مجنوناً أو أسوأ من ذلك...

يمكنك أن تسكتّه وتعتبره أحمق، يمكنك أن تبصق في وجهه وتعتبره شيطاناً، أو يمكنك أن تسجد عند قدميه وتدعوه ربّاً وإلهاً. ولكن دعونا لا ننطق بأي هراءٍ وكبرياء عن أنّه معلِّم إنسانيّ عظيم. فهو لم يترك ذلك الخيار مفتوحاً لنا وهو لم يشأ ذلك.[٧٥]

قلبَ الدكتور بيترسون صفحة ملاحظاته وقال «بكلمات كينيث سكوت لاتوريت، المؤرّخ المسيحي في جامعة يال»

إنَّ تعاليم يسوع ليست هي ما يجعله ملحوظاً لتلك الدرجة مع أنّها تكفي لتميّزَه. السرّ هو المزيج بين التعاليم التي قدَّمها وشخصه نفسه. ولا يمكن الفصل بين الاثنين... يجب أن يكون واضحاً بالنسبة إلى أي قارئ رصين لسجلاّت الإنجيل أنّ يسوع اعتبر نفسه جزءاً لا يتجزأ من رسالته. كان معلّماً عظيماً ولكنّه كان أكثر من ذلك. كانت تعاليمه عن ملكوت الله والسّلوك البشريّ والله هامَّة ولكن لا يمكن فصلها عنه ولا عن وجهة نظره

٧٥. سي. أس. لويس، المسيحيّة المجرّدة (نيويورك: ماكميلان، ١٩٦٠)، ٤٠ -٤١.

من دون إبطالها.[٧٦]

تابع الدكتور بيترسون «لقد ادّعى يسوع أنّه هو الله. ولابدّ أن يكون إدّعاؤُه إمّا صحيحاً إما خاطئاً وينبغي على الجميع التفكير في الأمر بالجديّة نفسها التي انتظرها من تلاميذه حين طرح عليهم السؤال «من تقولون إنّي أنا؟»»[٧٧]

٧٦. كينيث سكوت لاتوريت، تاريخ المسيحية (نيويورك: هاربر أند رو، ١٩٥٣)، ٤٤، ٤٨.

٧٧. متّى ١٦: ١٥

الفصل العشرون

هل كان يسوع كاذبًا؟

«سـيّداتي سـادتي، إذا كانـت ادّعـاءات يسـوع خاطئـة فيوجـد إذاً خيـاران متاحـان أمامنـا فقـط. إمّـا أنّـه عـرف أنّهـا خاطئـة أو لـم يعـرف ذلـك. سـوف نأخـذ في الاعتبـار كلّ إمكانيّـة عـلى حـدة ونـدرس الأدلّـة عنهـا.»

«إذا عـرف يسـوع عندمـا قـام بادّعاءاتـه بأنّه لـم يكن الله فهـو إذاً كان كاذبـاً يخـدع أتباعـه عمـداً. ولكـن إن كان كاذبـاً، فهـو أيضـاً كان مرائيـاً لأنّـه علّـم الآخريـن أن يكونـوا صادقـين مهمـا كلّـف الأمـر. لا بـل أسـوأ مـن ذلـك، إذا كان

يكـذب فهـو كان شرّيـراً لأنّـه قـال للآخريـن بـأن يضعـوا مصيرهـم الأبـديّ بـين يديـه. وفي النهايـة، يكـون أيضـاً أحمـق لأنّ ادّعاءاتـه بأنّـه الله، الادعـاءات الـتي كان بامكانـه التراجـع عنهـا ليخلّـص نفسـه حـتّى في اللحظـة الأخـيرة، قـد أدّت إلى صلبـه. ولكـن تاريخيـاً، نعـرف أنّ شـخصيّة يسـوع كانـت كاملـة. حـتّى أعـداءهُ أشـادوا بشـخصه. فبيلاطـس قـال «إنّي لا أجـد علّـةً في هـذا الانسـان».»[٧٨]

جالـت مينـا بنظرهـا في صـفّ الطـلاّب ولاحظـت أنَّ أندريـا تـدوّن الملاحظـات.

قـام الدكتـور بيترسـون بتعديـل نظّاراتـه ثـمَّ تابـع «إنَّ ويليـام ليـكي، أحـد أهـمّ المؤرّخـين في بريطانيـا العظمـى، ومنافـس شرس للمسـيحيّة المنظّمـة، رأى تأثـير المسـيحيّة الحقيقيّـة في العالـم فكتـب»:

كان محصـورًا بالمسـيحيّة أن تقـدّم إلى العالـم المثـال الأعـلى الـذي بالرغـم مـن جميـع التغيـرات الـتي حصلت

٧٨. ماكدويل وماكدويل، نجّار وأعظم، ٣٠.

في القرون الثمانية عشرة، قد ألهم قلوب الرجال بمحبّة ملتهبة، وأظهر نفسه على أنّه قادر على التأثير في جميع الأعمار والأمم والأطباع والظروف، وهو لم يكن أعلى قدوة للفضيلة فحسب، بل أيضاً أقوى حافز لممارستها... إنّ تلك السجلات البسيطة لثلاث سنوات قصيرة من حياته الناشطة قد فعلت أموراً لتجديد البشريّة وتليينها أكثر من جميع بحوث الفلاسفة وجميع عظات الأخلاقيّين.[٧٩]

وبينما كان الدكتور بيترسون يتحدّث، كانت أندريا تصلّي بصمت «يا يسوع، أنا أعرف الآن أنّك حقيقيّ. أرجوك أغفر لي. أنا أؤمن بك وسأسلّمك حياتي بثقة.» ضبطت مشاعرها وتابعت الاستماع.

ركّز الدكتور بيترسون ناظريه على الصفوف التي كانت وراء أندريا مباشرةً حيث كان طلاّب عديدون يرتدون

٧٩. ويليام إي. ليكي، تاريخ الأخلاق الأوروبية من أغسطس إلى شارلمان (نيويورك: د. أبلتون، ١٩٠٣)، ٢: ٨-٩.

قمصـان الملحديـن. «أتعرفـون؟ إنَّ الكثـير مـن «الملحديـن الجـدد» يتجنّبـون الدفـاع التاريخـي عـن موثوقيّـة العهـد الجديـد. فعـلى سـبيل المثـال، في الفصـل الـذي كتبـه كريسـتوفر هيتشـنز تحـت عنـوان «شرور العهـد الجديـد»، لا يقـدّم أيّ حجّـة قويّـة ضـدّ تاريخيّـة العهـد الجديـد. كيـف بإمكانـك أن تدعـو العهـد الجديـد بالشرّيـر؟ فالمسـيح هـو المعلّـم الأكـثر رحمـةً في التاريـخ. ويعجـز هيتشـنز عـن دحـض هـذه الحقيقـة. هـو يذكـر ببسـاطة البعـض مـن التناقضـات المزعومـة ويكـرِّر العمـل الشـعبيّ لبـارت إيرمـان الـذي يذكـر أنّ جـزءاً مـن مرقـس ٨ ليـس أصليـاً.[٨٠] لقد اعـترف اللاهوتيّـون المسـيحيّون بهـذا الأمـر منـذ سـنوات! عـلى فكـرة، لـم يكتشـف إيرمـان تلـك الفكـرة مـن تلقـاء نفسـه، وربّمـا قـد تعلّمهـا مـن رجُـل إنجيـليّ! فـإنّ معلّمـه الإنجيـلي بـروس متزجـر، وهـو ناقـد نـصّي، شـهد عـلى أنّ النُسـخ الـتي هـي في حوزتنـا الآن مـن العهـد الجديـد تشـابه النُسـخ الأصليّـة إلى حـدٍّ كبـير جـداً. وإذا أراد إيرمـان أن

٨٠. هيتشنز، الله ليس عظيمًا، ١٢٠- ٢١.

يكـون صادقـاً مـن الناحيـة الفكريّـة في اسـتنتاجات نقـده النـصّي الأكاديمـي، فعليـه الاعـتراف أيضـاً بالدقّـة العاليـة جـداً لنُسَـخ العهـد الجديـد الموجـودة في حوزتنـا اليـوم.»

بعـد أن قـال هـذا الـكلام، انفجـر الحضـور بتصفيـق حـارّ مـع أنّ صـفّ الملحديـن وعـدد مـن الأسـاتذة امتنعـوا عـن التصفيـق. ألقـت جيسـيكا نظـرة سريعـة إلى جانبهـا وفوجئَـت برؤيـة أندريـا تصفّـق.

«ليـس منطقيّـاً بتاتـاً التفكـير في أنّ يسـوع المسـيح كاذبٌ. قـال المـؤرّخ فيليـب تشـاف»:

كيـف يمكـن بإسـم المنطـق والحـسّ السـليم والخـبرة، لدجّـال ورجـل مخـادع وأنـانيّ وفاسـد أن يخلـق أنقـى شـخصيّة عرفهـا التاريـخ وأنبلهـا ويحافـظ عليهـا باتّسـاق مـن البدايـة إلى النهايـة بـروح مـن الحقيقـة والواقـع الأكـثر مثاليّـة؟ كيـف أمكنـه تصميـم خطّـة مـن الإحسـان غـير المشـهود قبـلاً والعظمـة الأخلاقيّـة والجـلال، وتنفيذهـا والتضحيـة بحياتـه مـن أجلهـا في وجـه أقـوى الاضطِّهـدات مـن قبـل شـعبه وفي عـصره؟[٨١]

٨١. فيليـب تشـاف، شـخص المسـيح (نيويـورك: أميريـكان تراكـت سوسـايتي، ١٩١٣)، ٩٤ - ٩٥.

الفصل الحادي والعشرون

هل كان يسوع مجنونًا؟

«إنَّ شخصاً عاش كما عاش يسوع وعلّم كما علّم يسوع ومات كما مات يسوع لا يمكن أن يكون كاذباً. دعونا ندرس احتمالات أخرى. إذا اعتبرنا أنَّه لا مجال أن يكون يسوع كاذباً، إذًا أفلا يمكن أن يكون في الواقع قد أخطئَ بالاعتقاد بأنّه الله؟ فبعد كلّ شيء، يمكن أن يكون المرء صادقاً ومخطئاً في الوقت نفسه. لكن علينا أن نتذكّر أنَّ إرتكاب المرء خطأً بالظنِّ باعتبار نفسه الله، ولا سيَّما في إطار ثقافة مُوحِّدة دينياً بشراسة، ثمَّ القيام بإخبار الناس

بـأنّ مصيرهـم الأبـديّ يعتمـد عـلى الإيمـان بـه ليـس أمـراً سـهلاً كرحلـة خياليّـة بسـيطة. إنَّ ذلـك يتطلّـب مجنونـاً حقيقيـاً يعـاني مـن الهذيـان الفكـريّ للقيـام بأمـر كهـذا. هـل مـن الممكـن أن يكـون يسـوع مختـلاً عقليـاً؟»[٨٢]

صـاح أحـد الطـلاّب المرتديـن قميصـاً مكتوبـاً عليـه «ملحـد» باللـون الأحمـر: «أجـل!»

تابـع الدكتـور بيترسـون كلامـه محافظـاً عـلى هدوئـه «كلا، أنـا أخـشى أنَّ هـذا الأمـر غـير ممكـن. ففـي يومنـا هـذا، نحـن نعامـل شـخصاً يعتـبر نفسـه الله بالطريقـة نفسـها الـتي نتعامـل فيهـا مـع شـخص يظـنّ نفسـه نابوليـون. نـراه مخدوعـاً ويخـدع نفسـه. وكنّـا لنرجـو ألاّ يـؤذي نفسـه أو أيّ أحـد آخـر. ولكـن في شـخص يسـوع لا نـرى أي شـذوذ وانعـدام للتـوازن كمـا يـأتي عـادةً مـع الاختـلال. إذا كان مجنونـاً، فـإنّ أقـلّ مـا يمكـن قولـه عـن اتِّزانـه ورباطـة جأشـه هـو أنّهمـا كانـا أكـثر مـن رائعـين.[٨٣]

٨٢. ماكدويل وماكدويل، نجّار وأعظم، ٣٣.

٨٣. المرجع نفسه.

«دعـوني أقـرأ ملاحظـة كتبهـا العالـم النفـسيّ غـاري ر. كوليـنز».

كان يسـوع محبـاً لكنّـه لـم يـدع عطفـه يعيقـه مـن الإسـتمرار، غالبـاً مـا كان مُحاطـاً بالحشـود الـتي تعبـده لكنَّـه لـم يكـن منتفخـاً بالغـرور. فهـو قـد حافـظ عـلى الاتـزان عـلى الرغـم مـن نمـط حيـاة متطلّـبٍ باسـتمرار، لقـد عـرف دائمـاً مـا كان يفعلـه وأيـن هـو ذاهـب، وكان يهتـمُّ لأمـر النـاس بصـدق بمـن فيهـم النسـاء والأطفـال الذيـن لـم يُعتـبر لهـم أهميَّـة في ذلـك الوقـت، كان قادراً عـلى القبـول بالنـاس بـدون السـكوت عـن خطاياهـم، وأجـاب كلَّ فـرد بحسـب مـا وصل إليـه وحاجاتـه الفرديّة. في كلِّ مـا فعلـه، لا أرى أيّ علامـات تـدلّ عـلى أنّ يسـوع كان يعـاني مـن أي مـرض عقـليّ معـروف... كان أكـثر صحّـة مـن أي شـخص آخـر أعرفـه، بمـن فيهـم أنـا![٨٤]

رفـع الدكتـور بيترسـون عينيـه عـن ملاحظاتـه وقـال «أنـا

٨٤. غـاري ر. كوليـنز، مُقتبـس في لي سـتروبل، الدفـاع عـن المسـيح (غرانـد رابيـدس: زوندرفـان، ١٩٨٨)، ١٤٧.

شخصياً أعجز عن الاستنتاج أنّ يسوع كان كاذباً أو مجنوناً. الاحتمال الوحيد هو أنّه كان، وهو، المسيح، ابن الله، كما قال. ولكن، على الرغم من المنطق والأدلّة، يبدو أنّ الكثير من الناس لا يمكنهم التوصّل إلى هذا الاستنتاج. إنَّ رغبتي هي أن تغيّروا رأيكم وتؤمنوا بالمسيح الآن على أنّه ربّ ومخلّص. أنا الليلة أرغب في الاعتذار من كلّ الأشخاص الذين ضلّلتُهم في السنوات الكثيرة التي علّمتُ فيها هنا في جامعة أوبال. لقد منعني كبريائي الأكاديمي من التحقّق بصدق من المزاعم الحقيقية التي قالها المسيح وكتبة الأناجيل. كما أنّ كبريائي هو الذي منعني من الاعتراف بالمسيح ربّاً على حياتي. أظنّ أنّني أردتُ في الحقيقة أن أدير حياتي بنفسي وأن أكون إله نفسي الخاصّ. أمّا الآن، فأريدكم أن تعيدوا النظر في يسوع الحقيقي الذي كشف عنه الكتاب المقدّس.[٨٥]

«قبل شهرين، قمنا أنا زوجتي سوزان بالاعتراف بخطايانا وقبلنا بموت يسوع المسيح الكفّاري لدفع ثمن خطايانا، كما

٨٥. ماكدويل وماكدويل، نجّار وأعظم، ٣٦.

اعترفنا به ربّاً على حياتنا. إذا كنت لا تعرف يسوع المسيح، فأنا أشجّعك على الإيمان به في هذه اللحظة. هذا هو أحكم قرار ستأخذه في حياتك كلّها.

«الآن لقد انتهى الوقت المخصّص لي وحان الوقت للاستماع إلى أسئلتكم.» صفّق له الحاضرون وكان قد وقف نصفهم تقريباً، بمن فيهم أندريا.

الفصل الثاني والعشرون

أسئلة من ملحدين ومشكّكين

وسط هتاف الحاضرين، مشى نائب الرئيس برايس ووقف في الممرِّ الوسطيّ حاملاً معه ميكروفوناً وقال «سنسمع الآن إلى بضعة أسئلة من الحضور.»

كان سكوت أوّل من طرح سؤالاً. «دكتور بيترسون، سمعتُ أنّ قسطنطين كان هو من مارس الضغوط من أجل رفع مكانة المسيح إلى الألوهيّة في مجمع نيقية في القرن الرابع.»

عاد سكوت إلى مقعده، واقترب الدكتور بيترسون من الميكروفون.

سـأل الدكتـور بيترسـون «هـل كنـت تقـرأ روايـات دان بـراون؟» فضحـك عديـدون في أرجـاء القاعـة. تابـع الدكتـور بيترسـون قائـلاً «إليـك الدفـاع الـذي قدّمتـه الليلـة. لقـد كُتب العهـد الجديـد في القـرن الأوّل بعـد مـرور عقـود فقـط عـلى الأحـداث الحاصلـة مـع بيسـوع. إنّ أسـفار العهـد الجديـد تسـبق بتاريخهـا مجمـع نيقيـة بأكـثر مـن قرنـين. ومـع أنّهـا أسـفار كُتبـت عـلى يـد أشـخاص مختلفـين ولأغـراض متنوّعـة، فـإنَّ جميعهـا تحتـوي بـدون أي شـكٍ عـلى موضـوع مشـترك موحَّـد وهـو أنَّ يسـوع المسـيح هـو الله.»

أمّـا السـؤال التـالي فطرحـه رجـل كبـير في السـن لـه لحيـةٌ. «دكتـور بيترسـون، هـل يمكنـك تقديـم أي مصـادر خارجـة عـن الكتـاب المقـدّس تُظهـر أنّـه تـمَّ اعتبـار يسـوع المسـيح الله؟»

«بـكلّ تأكيـد. يقـدّم آبـاء مـا قبـل نيقيـة دعمـاً إضافيـاً يُظهـر اعتبـار يسـوع إلهـاً. لقـد قمـتُ بتوثيـق البعـض مـن أقوالهـم المقتبسـة. لقـد كتـب إغناطيـوس الأنطـاكي في العـام ١١٠ ب.م. «الله تجسّـد... الله نفسـه ظهـر في شـكل

انسان.»[٨٦] وجاستن مارتر الذي عاش بين العامين ١٠٠ و١٦٥ ب.م. قال عن المسيح «... بما أنّه كلمة الله الوحيدة، فهو الله نفسه.» وقد صرّح إيريناوس في العام ١٧٧ ب.م. «الآب هو الله والابن هو الله فالمولود من الله هو الله.»[٨٧] وكتب ميليتو أسقف ساردس حوالى العام ١٧٧ ب.م. بأنّ يسوع ظهر بشكل انسانٍ لكنَّه هو الله.»[٨٨]

تابع الدكتور بيترسون «ربّما الدليل الأكثر إقناعاً على أنَّه تمَّ الكلام على ألوهيَّة يسوع قبل نيقية يأتي من مؤلّفين غير مسيحيّين. فمثلاً يُظهر الكاتب الهجائي اليوناني لوقيانوس السميساطي (حوالى ١٧٠ ب.م.) والفيلسوف الروماني سيلسوس (حوالى ١٧٧ ب.م.) والحاكم الروماني بلينيوس الأصغر (حوالى ١١٢ ب.م.) بوضوح أنَّ المسيحيّين الأوائل فهموا أنّ يسوع ذو طبيعة إلهيّة. وقد اضطُهد بلينيوس المسيحيّين بسبب إيمانهم بأنّ يسوع كان إلهاً.

---

٨٦. جيمس أ. كليست، رسائل القديس كليمنت من روما والقديس اغناطيوس من أنطاكية، «إلى أهل أفسس» (رامسي: بوليست برس، ١٩٧٨).

٨٧. أليكساندر روبرتس، آباء ما قبل نيقية، العدد الأوّل (غراند رابيدز: إيردمانز، ١٩٩٣)، ١٨٤.

٨٨. جوزيف ب. سميث، القديس إيريناوس: دليل على الوعظ الرسولي (رامسي: دار نشر بوليست، ١٩٧٨)، الفصل ٤٧.

دعـوني أقـرأ لكـم بيانـاً وثّقتُـه ممّـا كتبـه بلينيـوس. « كانـت لهـم العـادة أن يلتقـون دوريـاً في يـوم محـدّد قبـل بـزوغ الفجـر ليرنّمـوا آيـات بالتنـاوب في مـا بينهـم تكريمـاً للمسـيح كمـا لـو كان إلهـاً».»[٨٩]

٨٩. بلينيـوس، رسـائل ومديـح، نـصّ بيـتي راديـس، مكتبـة لـوب الكلاسـيكية (كامبريـدج: دار نـشر جامعـة هارفـارد، ١٩٦٩)، ١٠،٩٦ (٢،٢٨٩).

الفصل الثالث والعشرون

هل يمكنك أن تثبت لي ذلك علميّاً؟

بعد عدَّة أسئلة أخرى، تناولت لورين، صديقة أندريا، الميكروفون وتكلّمت باندفاع «مرحباً، اسمي لورين. كنتُ أتساءل... كلّ هذا الكلام عن الله، ويسوع والقيامة. هل يمكنك أن تُثبته لي علمياً؟»

قال الدكتور بيترسون ببساطة «كلا، لا يمكنني ذلك.»

كان بإمكان أندريا سماع ضحكات أصدقائها الملحدين خلفها. وصاح صديقها سام الذي كان جالساً وراءها ببضعةِ صفوف قائلاً: «لا يكلّموننا عن

الأمر! ليس لديكم أنتم المتديّنين إلاّ الإيمان الأعمى!»

ابتسم الدكتور بيترسون رداً على التعليقات وابتدأ يتحدَّث بهدوء «تقديم الدليل العلميّ هو عمليّة إظهار حقيقة أمراً ما عبر تكرار الاختبار في حضور الشخص الذي يشكّك في تلك الحقيقة. ويتمُّ ذلك في بيئة مُراقَبة حيث يمكن إبداء الملاحظات وجمع البيانات والتحقّق من الفرضيّات تجريبياً.»[٩٠]

صرخ طالب آخر «هل تعرف فعلياً أي شيء عن العلوم؟»

«حسناً، أنا لستُ عالماً ولكنّي قد أعرف أكثر ممّا تظنّ. لقد فكّرتُ ملياً في متابعة مهنتي في ذلك المجال عندما درستُ اختصاصَي الفيزياء وعلوم الحياة كطالب جامعيّ في هارفرد، ولا زلتُ أقرأ عدّة جرائد علميّة من أجل المتعة. إنَّ اختبار حقيقة فرضيّة ما عبر إجراء التجارب في بيئة مُراقبة هو إحدى التقنيات الرئيسيّة المُستخدمة في الطريقة العلميّة الحديثة.

٩٠. ماكدويل وماكدويل، نجّار وأعظم، ٤٢.

فعلى سبيل المثال، يزعم أحدهم بأنّ صابون آيفوري لا يعوم بينما أزعم أنا أنّه يعوم. لذا فمن أجل إثبات وجهة نظري، آخذ المشكّك إلى المطبخ، وأسكب عشرون سنتمراً من المياه في الحوض على حرارة ٢٨ درجة وأضع الصابون فيها «غل غل غل»! ثمَّ نبدي الملاحظات ونضع البيانات ونتحقّق من فرضيّتي تجريبياً: صابون آيفوري يعوم.»[٩١]

تابع الدكتور بيترسون كلامه، «إذا كانت الطريقة العلميّة هي الطريقة الوحيدة التي نمتلكها من أجل إثبات الحقائق، فلا يمكنك إثبات أنّك تناولت وجبة الغذاء اليوم. إذ من المستحيل أن تكرّر ذلك الحدث في بيئة مُراقبة. لكن لحسن الحظّ توجد طريقة أخرى لإثبات الدلائل وهي الطريقة القانونيّة التاريخيّة التي ترتكز على إظهار حقيقة الأمر بإلغاء الشكوك المعقولة. بمعنى آخر، نتوصّل إلى حكمٍ استنادًا إلى الأدلّة، ولا يكون لدينا أي أساس عقلاني للشكّ في القرار. ترتكز الأدلّة القانونيّة

٩١. المرجع نفسه، ٤٣.

التاريخيّة على ثلاثة أنواع من الشهادات: الشهادة الشفهيّة، والشهادة الخطيّة، والمعروضات (مثل مسدّس، أو رصاصة أو دفتر ملاحظات). وباستعمال الطريقة القانونيّة التاريخيّة لتحديد الحقائق، يمكنك أن تثبت من دون أدنى شكّ أنّك خرجت لتناول الغداء اليوم. فأصدقاؤك رأوك هناك والنادل يتذكّر رؤيتك هناك، ولديك إيصال المطعم، وثمّة بقعة على قميصك.»[٩٢]

«يا لورين، لا يمكن استعمال الطريقة العلميّة إلاّ لإثبات الأشياء القابلة للتكرار. وهي غير مناسبة لإثبات أو دحض أسئلة عن أشخاص أو أحداث في التاريخ. إنّ الطريقة العلميّة غير مناسبة للإجابة على أسئلة مثل: هل عاش أبراهام لينكولن حقاً؟ هل كان مارتن لوثر كينغ جونيور قائد حركة الحقوق المدنيّة؟ من كان يسوع الناصري؟ هل كان كريستوفر كولومبوس شخصاً حقيقياً؟ هل قام يسوع المسيح من بين الأموات؟ إنّ هذه الأسئلة خارجة عن عالم الأدلّة العلميّة ويجب علينا وضعها في

٩٢. المرجع نفسه.

عالم الأدلّة القانونيّة التاريخيّة.[٩٣] شكراً لكم.»

صفّق الطلاّب من جديد.

صعد الدكتور برايس إلى المنصّة وصافح الدكتور بيترسون وشكره على إلقاء المحاضرة. لقد كان لقاء اليوم من أكثر المحاضرات المُفاجِئة والمُحفِّزة التي شهدتها الكليّة في السَّنوات الأخيرة.

٩٣. المرجع نفسه.

الفصل الرابع والعشرون

أخبار جيّدة لدى آل بيترسون

بعد قرابة الساعة، كان حوالى عشرين طالباً وعدّة أساتذة من الكليَّة جالسين في الخارج في منزل آل بيترسون احتفالاً بمحاضرة الدكتور بيترسون. طلب الدكتور بيترسون من زوجته أن تشاركهم بقصّتها، وقد فرح الطلاّب بشخصيّتها اللطيفة. قالت إنَّ محبّة الله دفعتها لتؤمن بالمسيح. واستمع الطلاّب بعناية بينما كانت تخبرهم بأنّ مسيرتها الروحيّة لم تكن فكريَّة عقلانيَّة بقدر مسيرة الدكتور بيترسون. بالنسبة إليها، لقد شَعرَت

بالتبكيت على أنانيّتها وأحسّت بأنّ الله يريد بناء علاقة معها لأنّه يحبّها.

فوجئَ الجميع عندما تكلّمت أندريا بعد انتهاء السيّدة بيترسون من الكلام. «أشعرُ أنّه عليَّ تقديم شكر لآل بيترسون وليس هم فحسب، بل أيضاً لجيسيكا ومينا وجمال ونيك لأنّهم كانوا صبورين معي للغاية وأظهروا محبّة الله لي. أريدكم أن تعرفوا جميعاً بأنّني في هذه الليلة وبينما كان الدكتور بيترسون يلقي كلمته، وضعتُ إيماني في يسوع.»

بعد أن أنهت كلامها، هتف لها جمال بصوت عالٍ بينما مينا وجيسيكا عانقتاها.

أمّا بريت فلم يكن مرتاحاً بوجود جميع أولئك المسيحيّين حوله إذ بدا لديهم ثقة كبيرة في الله ومودّة كبيرة تجاه بعضهم بعضاً وكان لا يزال لديه تحفّظاته «الكثير ممّا يقوله هؤلاء الأشخاص منطقيّ ولكنّني لستُ على استعداد للقفز في موضوع الإيمان هذا من دون قضاء وقت أكبر بكثير للتحقيق والتفكير في المسألة.»

قال بريت بتهذيب «أنا أيضاً أودّ أن أشكركم جميعاً. لقد كنتُ ملحداً مجاهراً برأيي كلّ أيام حياتي تقريباً، ولكن بسبب البراهين الفكريّة التي ذكرتموها، بالإضافة إلى الايضاحات التي قدَّمها لي جمال، بدأت الآن أؤمن بأنّ المسيح قد عاش حقاً. ولكن... أنا ببساطة لست على استعداد لاعتناق الايمان المسيحيّ مثل أندريا. فما زالت لديّ شكوك كثيرة، لاسيما حول القيامة.»

سأل الدكتور بيترسون «مثل ماذا؟»

«ممم...أنا لا أرغب حقاً في الكلام عن الموضوع الآن. ففي نهاية الأمر، أنتم تفوقونني عدداً.» ابتسمَ وابتسمَ له الدكتور بيترسون أيضاً.

«أنا أتفهّم ذلك يا بريت. إذا رغبت يوماً بالتحدّث، أرجوك أن تتّصل بي أو أن تقصد مكتبي.»

ردّ بريت «شكراً لك. قد أستفيد من عرضك هذا... يوماً ما.»

تشمل سلسلة «أحاديث في مقهى»:

هل الكتاب المقدّس صحيح... حقّاً؟

من هو يسوع... حقّاً؟

هل تمَّت القيامة... حقّاً؟